العفريت
لا يزال في بيتي

العفريت لا يزال في بيتي
أسامة سمير
الطبعة الأولي .... يوليو ٢٠١٣

الغلاف : كريم آدم
المراجعة اللغوية : محمد عبد الغفار
اخراج داخلي : إبداع للدعاية والاعلان
المدير العام : د/ اسلام فتحي
رقم الإيداع : ٢٠١٣/١٠٥٦٦
الترقيم الدولي : 978-977-6412-31-6

الحـلم للنشر والتوزيع
١٧ شارع مجلش الشعب - ميدان لاظوغلي - القاهرة
محمول : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com

العفريت

لا يزال فى بيتى

قصص قصيرة

أسامة سمير

3

المحتويات

٩ لقاء العواصم
١٧ لعبة البطل
٣٣ حالم وأحلام
٣٩ الأستاذ
٤٧ مكعب الثلج
٥١ مهرج المدير
٦١ العفريت لا يزال في بياي
٧٥ رجل هزمته الحياة
٨١ نجم تحت الصخرة
٨٧ صداقة في المنطقة صفر
٩٥ صك التحول
٩٧ لغة الصمت

إهداء

إلى زوجتي الحبيبة إيناس أهدي تلك المجموعة القصصية..

أسامة سمير

القاهرة

مارس ٢٠١٣

ولدي نصحتك لما صوتي اتنبح
ما تخافش من جني ولا من شبَح
وإن هبّ فيك عفريت قتيل اسأله
ما دافعش ليه عن نفسه يوم ما اندبح
وعجبي

صلاح جاهين

لقاء العواصم

وان لنضرب رأس كل قبلية
وأبوك خلف أتانه يَتقملُ

(هجاء عربي قديم)

في إحدى الليالي وكانت السماء حُبلى بالسُحب منتظرة سماع صوت أجراس السماء من البرق والرعد ليولد المطر من رحم السماء.
في تلك الليلة كما في كل ليلة تصعد عواصم الدنيا في نزهة بين النجوم ليشاهدوا الأرض من بعيد ويحتكموا إلى القمر فيما يدور عليهم من أحداث وما يقع لهم من حوادث.
من بعيد رأى القمر مدينة بغداد آتية.
من أول وهلة لم يعرفها القمر، فقد بدت كامرأة عجوز تبدو آثار السنين عليها، وجهها شاحب و تغمر ملابسها الدماء ، نظراتها تائهة مثل تلك النظرة التي نراها في عين إنسان أضنته الحوادث وغمرته الأحزان ويأبى أن يبكي خشية أن يراه الناس مكسورا وكل الناس تعرف أنه قد كُسر، إلا أنه يقاوم كي لا ينهار أمامهم، وحين ينفرد وحيدا وينأى بنفسه بعيدا بين قبور الأموات كي يطمئن أن أحدا لا يسمعه وهو يبكي يظل يبكي ويبكي ويبكي،

لكن الموتى هم من يسمعونه ويشفقون عليه؛ فهم أكثر الناس دراية بسر بكائه.

تسائل القمر: بغداد..! هل أنتِ بغداد؟ لم أعرفك.

قالت بغداد بحزن: لم أعد أعرف نفسي فكيف ستعرفني أنت؟

- يا الله، إن ملامحك اليوم تُشبه إلى حدٍّ كبير إن لم تكن هي نفس الملامح التي رأيتك عليها من مئات السنين حينما دخلك التتار.

ما زلت أتذكر تلك الليلة المشئومة التي جئتِني فيها وكنتِ لا تختلفين كثيرا عن منظرك هذه الليلة.

هل عاد إليك التتار مرة أخرى؟

- ألا تعرف ما حدث لي؟ فالكل يعرف ما حدث لي.

أما زلت لا تأبه بما يحدث على الأرض؟

- اكتفيت بنظرات العاشقين إليَّ وجعلت مهمتي أن أُريحهم جميعهم فيرى كل منهم في كل ما يتمنى.

- أما زلتَ تخدعهم؟

- لا أخدعهم، لكن أسعدهم بعض الوقت.

- جئت إليك شاكية.

- شاكية..! بغداد عرُوس الدُنيا تشكو ممن؟ ومن هذا الذي يجرؤ أن تشكو منه بغداد؟

- لو اطلعت مرة واحدة على الأرض لعرفت السبب.

- لقد سئمت الأرض وما يحدث فيها.

أخبريني ماذا حدث لك.

جلست بغداد على صخرة وأخذت نفسا عميقا كأنها إنسان يستريح من سفر بعيد وقالت

- أبنائي يُقتّلون ويُذبّحون ويُصابون، وبيوتي تُهدم وآثاري تُسرق وأنهاري جفت.. كل ما كان جميلا أصبح قبيحا، وكل ما هو آمن أصبح خائفا.. أصبح

الحديث عن عدد قتلى أبنائي صبيحة كل يوم شيئا عاديا، مجرد رقم في صحيفة أو تقرير في نشرة أخبار.

- ومن فعل هذا بك؟ أهم التتار قد عادوا إليكِ مرة أخرى؟

- التتار..! إن التتار لهم ألف وجه ووجه.

تتار الأمس جاءوا إليَّ وهم يقولون ويُقرون بأنهم ما جاءوا إلا للقتل، أما تتار اليوم فجاءوا إليَّ وهم يقولون إنهم ما جاءوا إلا لإعطائي الحرية..!.

- ومن يكونون تتار اليوم؟

- واشنطن.

- واشنطن..! إنها مدينة حديثة العهد رأيتها ذات مرة، هي غالبا لا تأتي إليَّ؛ فهي تفضِّل أن تصعد إلى كواكب أضخم وأبعد مني بمسافات كبيرة، ولما سألت عن السبب عرفت أنها تفعل ذلك خشية أن تقابل على سطحي العواصم الأقل منها شأنا؛ فهي تترفَّع أن تجلس مع من تظن أنهم أقل منها شأنا ربما لشيء ما في داخلها، ربما تفعل ذلك لحداثة عهدها بالدنيا أو لعلو شأنها في الوقت الحالي.

عمومًا هي لا تعرف الحقيقة وأن عواصم الدنيا يتغير حالها بمرور الزمن؛ فتارة تكون العاصمة في أعلى شأن وتارة تكون في أقل شأن، والأيام دول.

أبلغيني يا بغداد كيف فعلت بك واشنطن ذلك، فأنا أسمع أنها مدينة الحريات وحقوق الإنسان، فهي - كما أعرف - تحافظ على كرامة الإنسان وحريته.

لقد أخبرتني بذلك بنفسها عندما قابلتها ذات مرة وعواصم أخرى أكدت لي ذلك.

فقد عرفت أن واشنطن يهتز قلب أهلها هزًّا عندما يعرفون أن حيوانا ما تعرض لأذى.

أرى أنك تتجنين عليها.

- أنا أتجنى عليها ؟! اسأل الموتى وهم يُجيبونك، اسأل الجرحى

وهم يُجيبونك، اسأل المنازل التي هدمت وهي تُجيبك.
من بعيد ظهرت مركبة فضائية فخمة وحديثة وهبطت على سطح القمر ونزلت منها شابة تضع المساحيق وتعلو شفتيها ابتسامة لا تدري إذا كانت ابتسامة المنتصر أم ابتسامة الواثق من نفسه، ابتسامة لا تخلو من الكبرياء.. تمشي مزهوة بنفسها، ممشوقة القوام، خطواتها ثابتة، من لا يعرفها يظن أنها قائد أتى لتوه من ساحة المعركة وقد انتصر في تلك المعركة عن اقتدار ومن مركز قوة.
تحمل أكثر من نوع من الأسلحة الفتاكة.
وكان الكل يعرفها.. عرفها القمر وعرفتها بغداد.
القمر - بصوت خفيض لم تسمعه إلا بغداد -: منظرها وهي قادمة نحوي اليوم يشبه إلى حدٍّ كبير - إن لم يكن هو هو - نفس منظر العواصم حينما تكون في أوج مجدها، لكن بكل أسف أراهم بعد مرور السنين بهيئة أخرى عندما يكون قد ولَّى زمنهم وبزغت في الأفق عواصم أخرى لتحل محلهم.
شعر القمر من حديثه هذا أن بغداد قد أصابها الضيق أو تذكرت شيئا ما، فأردف على الفور: لكن العواصم العريقة تظل عريقة مهما دار الزمن وانقلب الحال.
ابتسمت بغداد ابتسامةَ مَن فطن الأمر ولم تجد إجابة غير رسم ابتسامة لا معنى لها.
في خلال ذلك كانت واشنطن قد جاءت إليهما.
قال القمر:

- بغداد تشتكي منك إليَّ.

- تشتكي مني أنا؟ وهل عهدتني مصدرا للشكوى ؟ إنني مهمومة دائما بالكل، فكل همي في الحياة أن أرى الحرية سائدة بين البشر.

قالت بغداد بأسي

- وهل الحرية تسود بالقتل والدمار؟

ردت واشنطن

- لا بد من ثمن لنيل الحرية.

بغداد: هل الثمن أن يموت كل الناس لينالوا الحرية؟

هل ينالوها ويحصلون عليها بعد موتهم؟

واشنطن: الحرية شيء غير هين، ولا بد أن يكون ثمنها باهظا.

بغداد: لكننا لا نريد حريتك.

واشنطن: أنتم لا تعرفون ما يفيدكم ولا ما يضركم.

بغداد: وهل أنتِ تعرفين ما يفيدنا وما يضرنا؟

واشنطن: نعم أعرف.

بغداد: من أين مصدر تلك المعرفة؟

واشنطن: الحرية لا تحتاج إلى طلب؛ فهي شيء أساسي ليحيا الإنسان.

بغداد: ليحيا الإنسان؟

ها أنتِ قد قلتِها؛ فالإنسان عندي يموت ويقتل وأنتِ من تقتلينه.

واشنطن: لست أنا من يقتل الإنسان.

بغداد: فمن إذًا؟

واشنطن: أنتم الذين تقتلونه.

بغداد: كيف نقتل أنفسنا؟

واشنطن: تقاومونا فنضطر إلى قتلكم، هل تنكرين أننا أكثر تقدما منك بمراحل؟

بغداد: لا أنكر.

واشنطن: هل تنكرين أننا أصحاب العلم والقوة الآن؟

بغداد: لا أنكر.

ولكن هل تنكرين أنني أسهمت بقدر كبير في مرحلة زمنية ماضية في ذلك العلم حينما كنت صحراء جرداء يعيش قاطنوكِ بطريقة أقرب للبدائية؟

كنت أنا في ذلك الوقت مركز الحضارة والعلم.

واشنطن: ها أنتِ تجيبين عن أسئلتك، تتكلمين بضمير الماضي: كنتِ وكنتِ وكنتِ..

أما أنا فأتحدث بضمير الحاضر.

والحاضر والواقع والحقيقة المؤكدة كلها تقول إننا سادة العالم الآن.

بغداد: سادة العالم معكِ حق، أنتم سادة العالم الآن بفعل قوتكم.

واشنطن: نعم بفعل قوتنا وعلمنا.

بغداد: نحن مسئولون إلى حد كبير عمَّا وصلنا إليه من ضعف.

واشنطن: هذا شأنكم.

بغداد: عندي نصيحة أود أن أسديها إليكِ.

واشنطن: نصيحة!! عجبا، الضعيف يقدم نصيحة للقوي، كان من الأولى أن تقدمي تلك النصائح لكِ، بدلا من أن تدخريها لي.

بغداد: ربما لم يعد بمقدوري الآن غير تقديم النصائح، وربما يعود ذلك إلى ما علمني إياه التاريخ، فأنا - كما تعلمين - مرّت عليَّ أحقاب تاريخية كثيرة.

واشنطن: قولي ما عندك.

بغداد: أتعرفين أن العالم عبارة عن دورة حياة، عواصم تكون في القمة وعواصم تكون في القاع، ومع مرور السنوات تتغير الأحوال وتتفتت الإمبراطوريات وتكبر الدول الصغيرة وتحكم العالم؟ إنها مجرد دورة حياة.

لكن من العار، كل العار، أن تنهار دولة كبيرة ولا تكون قد تركت شيئا ما نافعا للبشرية أو على الأقل بعض ذكريات تاريخ مجيد ليجد أبناء هذه الدولة - وهم في مرحلة الضعف - ما يفتخرون به من أمجاد مضت وحضارة ولَّت وقوه ذهبت.

لكن في نهاية نصيحتي أحب أن أنبهك إلى أن الحكمة والعدل يجعلان الإمبراطوريات الكبيرة سادة العالم لأكبر وقت ممكن، والرعونة والظلم يُسرعان خطى انهيار هذه الإمبراطوريات.

واشنطن - وهي تضحك بصوت عالٍ باستهزاء -: أرجو أن تتذكري هذه

النصائح، لعلك تستفيدين منها عندما تدور عجلة التاريخ مرة أخرى وتصبحين أنتِ سيدة العالم في دورة الحياة التي تزعمينها.

بغداد: أعرف حق المعرفة أني مخطئة وأخطأت في حق نفسي لأني قد أسهمت إلى حد كبير فيما وصل إليه حالي.

واشنطن: ها أنتِ تقرين بخطئك.

بغداد: أنا لا أنكر خطئي.

لعل الاعتراف بالخطأ هو ما أمتلكه الآن.

القمر: عذرا، إن الوقت المخصص للقاء قد انتهى، فأرجو أن ترحلا وتتركاني.. لقد حان موعدي مع العشاق.

وقامت بغداد من جلستها وانصرفت ماشية كعجوز متعبة منهكة.

وامتطت واشنطن مركبتها وانطلقت.

وتهيأ القمر بأشعته الفضية للقاء العشاق.

ينظر إليهم وينظرون إليه، ويرى كل منهم في مرآته الفضية كل ما يتمنى.

لعبة البطل

الفرد في بلادنا مواطن أو سلطان
ليس لدينا إنسان

(أحمد مطر)

هناك في أحد البلاد البعيدة قامت ثوره لتصحح أخطاء الثورات السابقة، وكان من أهم قرارات هذه الثورة هو تغيير اسم قصر الحكم باسم جديد، فأصبح اسمه قصر الشعب، لكن بكل أسف لا يستطيع الشعب أن يقترب من الشوارع التي تحيط بهذا القصر.

وتم تغيير اسم الوطن باسم جديد فخم له رونق وينتهي هذا الاسم بكلمة «الديمقراطية»، لكن بكل أسف مثل هذه الأنظمة تكتفي بإطلاق الأسماء فقط؛ فهي تعتقد - وهي مستريحة الضمير - أنه بإطلاقها مثل هذه الأسماء فهذا فيه الكفاية وزيادة.

وكان على رأس هذا كله بطل.

كان بطل حاضره وبطل وقته وبطل قومه وبطل وطنه وبطل من حوله.. كان ملهما للجماهير.

الجميع يعرفون قدره.. لقد كان يطلَق عليه البطل الملهم والبطل الضرورة والبطل القدوة والبطل... والبطل... إلى آخر تلك الصفات والأسماء.

كانت كل هذه الصفات والأسماء ترددها وسائل إعلام هذه البلاد على مدار الساعة وعلى مدار اليوم وعلى مدار الشهر وعلى مدار العام وعلى مدار فترة وجود هذا البطل في كرسي الحكم.

ولكن حدث ما يحدث دائما، وما هو بالتأكيد سيحدث لكل الناس، سواء أكانوا أبطالا أم كانوا من التابعين للأبطال أو أي إنسان آخر.

لقد مات البطل.. نعم لقد مات البطل كما يموت كل الناس.

اهتزت الدنيا لموت البطل.

انهمرت الدموع من العيون لموت البطل، ورددت الحناجر الخطب الحماسية التي تشيد بالبطل.

عفوا.. أقصد التي تشيد بالبطل الراحل.

فلقد أصبح منذ تلك اللحظة - لحظة رحيله - بطلا راحلا، ويا له من فرق شاسع بين بطل وبطل راحل.

وراح كل من عرف البطل يتذكر مواقفه الشجاعة وكيف تصرف إزاءها البطل، والكل يتذكر كيف عرف البطل وكيف قربه إليه البطل وكيف جعله صديقه الأوحد ومستشاره الذي لا يقرر شيئا إلا بعد الرجوع إليه.

وكان الكل يتحدث عن ذكريات وأحداث دارت بينهم وبينه شاهدوها الوحيدون انتقلوا جميعا إلى العالم الآخر.

كل ما يذكرونه عن هؤلاء الراحلين أن آخر لقاء لهم كان مع البطل، وأن هؤلاء الراحلين قد خرجوا من القصر إلى مكان مجهول، ثم أعلن بعد ذلك أن البعض منهم قد مات بصورة طبيعية والبعض الآخر قد انتحر، لكن الشيء المشترك بين هؤلاء الراحلين جميعا - ويا لها من مصادفة عجيبة وغريبة - أن البطل كان قد غضب بعض الشيء على هؤلاء الراحلين لأسباب كثيرة بعضها معلوم ومعظمها غير معلوم.

لكن يبقى أهم سبب وهو أن البطل كان قد غضب عليهم بعض الشيء، وهذا فيه الكفاية وزيادة.

وقد شُيِّع البطل إلى مثواه الأخير في جنازة عسكرية مهيبة لم يتمالك كل من شاركوا فيها إلا أن يصرخوا بأعلى أصواتهم لكي يعود إليهم البطل مرة أخرى، لكن هيهات.. فلن يسمعهم ، فالمكان الذي سيذهب إليه في هذه الرحلة الأبدية هو مكان كل من يذهب إليه لم ولن يعود منها أبدا.

فعدم العودة من هذه الرحلة من بروتوكولات وقواعد هذه الرحلة؛ فهذه رحلة «ذهاب بلا عودة».

كان الصندوق الذي يوجد به جثمان البطل تتلقفه الأيدي لتحظى بلمسة أخيرة منه وتكاد أطراف الأصابع تلتصق بالصندوق من كثرة حرصهم على ملامستهم إياه.

وعندما جاءت لحظة دخول البطل القبر تعالت الصرخات والهتافات، لكن هيهات، فلا الصرخات ولا الهتافات ذات جدوى في هذا الموقف الرهيب.

مشهد اللحظات الأخيرة قبل غلق القبر على جسد البطل الراحل لا نستطيع أن نصفه بأية كلمات أو عبارات مهما كانت، نظرا لجلال وروعة المشهد.

وما كاد القبر يغلق على البطل حتى ارتمى بعض المشيعين من فرط الإعياء على الأرض وارتمى البعض في أحضان بعضهم البعض غير مصدقين أنهم فقدوا البطل ولن يروه مرة أخرى.

وقد استقر مقام البطل في قبره المشيد من الرخام الأبيض وكتب على القبر بخط واضح وكبير:

هنا يرقد البطل الراحل.

وبعد مرور عام على وفاته كُتبت المقالات وصدرت الكتب عن إنجازاته.

ومرت أعوام وراء أعوام على رحيل البطل.

وفي كل ذكرى لرحيله تقام احتفالية ضخمة ومهيبة عند قبره ، وفي كل مرة يقسم المقسمون ويتعاهد المتعاهدون أن يسيروا على خطاه.

وصارت هناك أدبيات تُخلد ذكرى البطل، بل كان هناك عصر ما يُعرف بعصر البطل.

وفي كل ذكرى لرحيله تتكرر الكلمات ذاتها والخطب العصماء ذاتها، وإذا حدثَ حدثٌ جلل ترى كثيرين يرددون: لو كان البطل موجودا لفعل كذا وكذا.

في الذكرى العشرين لرحيل البطل تجمع الآلاف عند قبر البطل يلقون الخطب العصماء والقصائد الملتهبة في رثاء البطل.

ووقف أحد الحاضرين على منصة الخطابة، وكان يبدو على وجهه التأثر الشديد والجدية الصارمة وأخذ يلقي خطبة عصماء يعدد فيها مناقب البطل، وكان أداؤه - وهو يلقى تلك الخطبة - يشبه إلى حد كبير أداء ممثل مخضرم على أحد المسارح الكبيرة في أحد العروض المسرحية الضخمة وأخذ يردد بصوته الجهوري:

عشرون عاما مضت على موت البطل..

عشرون عاما مضت على فراق البطل..

عشرون عاما مضت على رحيل البطل..

لقد كان البطل مثالا يُحتذى به في كل شيء..

لقد كان البطل مفجر الثورة التي غيرت مسار البلاد..

فلنتعاهد على أن نسير على خطى البطل..

فلنتعاهد على أن نكمل ما بدأه البطل..

وفي أثناء ذلك كانت الجماهير الحاضرة تصفق بحرارة..

وفي خضم هذا حدثت مفاجأة..

خرج البطل من قبره..

لم تتغير صورته.. هو بنفس الهيئة والهيبة والوقار ونفس تقاسيم الوجه، وكان يرتدي نفس الملابس التي كان يرتديها طوال حياته - وهي الملابس العسكرية - ويزين صدره بالنياشين والأوسمة..

كان يلوح بيديه كما كان يلوح دائما.

انتظر البطل أن تحمله الجماهير على الأعناق، فهو يعلم أنها ما جاءت إلا

إليه لتحيي ذكرى رحيله.. شعر أنهم لم يروه جيدا فصعد فوق القبر وأخذ يلوح بكلتا يديه فلم يلتفت إليه أحد.

صرخ فيهم بأعلى صوته:

لقد سمعتكم على مدى عشرين عاما وكانت أمنيتكم أن أعود.. ها أنا قد عدت إليكم..

أنا البطل.. أنا البطل.. أنا البطل..

ها أنا قد عدت إليكم..

لم يلتفت إليه أحد..

وما زالت الجماهير المتجمعة حول القبر مشغولة بإلقاء القصائد والخطب العصماء عن البطل..

عاد يصرخ فيهم:

أنا البطل.. أنا البطل..

ها أنا قد عدت إليكم.. أنا من تنتظرونه..

ولم يلتفت إليه أحد..

من وسط الجموع تقدم إليه كبيرهم، وكبيرهم هذا يعمل مسئولا عن تنظيم مثل هذه الاحتفاليات والمهرجانات، وكان رجلا قد تجاوز الخمسين عاما من عمره، يرتدي ملابس رسمية أنيقة، وجهه كأنه منحوت من الشمع، وتبدو عليه علامات الهيبة والوقار ويشع من عينيه وميض من الحنكة والخبرة والدهاء، وهو على هذا الشكل يشبه معظم رجال السياسة المخضرمين، ناعم الملمس من الخارج عميق المخبر من الداخل بعمق دهاليز أروقة السياسة.. بحيث إذا أراد أحد أن يتفحصه من الداخل إما أن يتوه ولا يستطيع الخروج من داخل تلك الدهاليز، وإما أن يدرك حقيقة الأمر فيهرب بعيدًا بعيدًا ولا يقترب مرة أخرى من تلك الشخصيات الإنسانية شديدة التعقيد؛ فالقرب منها أشبه بالغوص في قاع البحر، فإما أن تدرك كيفية الغوص بمهارة في تلك الأعماق وإما أن تعرف ماذا تريد من قاع البحر

حتى تأخذ ما تريد وتطفو بعيدا إلى الشاطئ.
وأهم من هذا كله أن تعرف أن الغوص في قاع هذا البحر لا يتم إلا بموافقة البحر ذاته، وإذا حدث وخالف أحد تلك القواعد فهو أمام أحد أمرين، إما أنه لم ولن يستطيع أن يقترب من شاطئ هذا البحر.. وإما أنه في حالة تمكنه من الغوص في قاع هذا البحر من دون الالتزام بهذه القواعد فلن يقدر على ذلك إلا من يستطيع أن يكون هو الآخر بحرا جديدا، وربما يكون في هذه الحالة بحرا بديلا له عمق أبعد وله أمواج أعتى من البحر الذي استطاع أن يدحضه.
وفي كل الأحوال ينطبق على مثل هذا الرجل ومن يشبهونه القول المأثور: «القريب من السلطان كالراكب على الأسد يخاف الناس منه وهو أشدهم خوفا».
لقد كان هذا القول هو أقرب وصف لوصف هذا الرجل.
اقترب منه البطل وظل يردد بصوت عالٍ:
أنا البطل.. أنا البطل.. أنا البطل..
ها أنا قد عدت إليكم..
قال كبيرهم بعد أن تلفت حوله بكل حذر وبطريقة كأنها طبيعية حتى لا يلفت إليه الأنظار:
أعرف أنك البطل.
قال البطل وقد ظهرت علامات السعادة على وجهه -:
ومن تكون أنت؟
- أنا المسئول عن تنظيم هذه الاحتفالية.
- لماذا لم تلتفت إليَّ تلك الجماهير وهي قد جاءت تحتفل بذكرى رحيلي؟ هل لم يروننى؟
- بلي .. لقد رأوك.
- إذاً من المؤكد أنهم لم يعرفوني.. لقد مضى عشرون عاما منذ غبت

عنهم، من المؤكد أن تلك السنوات قد غيَّرت في هيئتي.

قال كبيرهم :

- يا سيدي، أنت أنت لم تتغير هيئتك.. وهم قد رأوك وعرفوك.

- لكن أيا منهم لم يُعِرني أي اهتمام.. ألست أنا من ينتظرونه على مدى عشرين عاما؟ لقد سمعتهم يرددون ذلك على مدى العشرين عاما الماضية.

- كلا .. هم لا ينتظرونك.

- كيف ذلك؟ لقد سمعتهم بنفسي يفعلون ذلك على مدى العشرين عاما الماضية.

لقد كانوا يأتون إلى قبري في ذكرى رحيلي ليلقوا القصائد والخطب التي تشيد بي.

- قلت لك يا سيدي لم يكونوا ينتظرونك أنت.

- من كانوا ينتظرون إذًا؟ هل يوجد بطل غيري؟ أنا البطل الذي ينتظرونه، وهذا قبري ولا يوجد غير بطل واحد في هذا القبر وهو أنا.

- يا سيدي، كل هؤلاء الذين كنت تسمعهم على مدار العشرين عاما الماضية لم يكونوا ينتظرونك أنت، ولم يأتوا إلى قبرك من أجلك أنت، هم في الحقيقة كانوا يلعبون لعبة البطل.

- لعبة البطل؟ هل صار البطل لعبة؟

- نعم، هناك لعبة تسمى لعبة البطل، وهي لعبة توجد في كل العصور والأوقات..

قال البطل وقد بدت عليه الحيرة :

- كيف؟

- الموضوع بسيط يا سيدي وسأحاول أن أوضح لك الأمر..

على مدار الأزمنة يأتي البطل صانع البطولة فنهتف له ونصفق له ونوافق على كل ما يقول، ثم ينتهي عصر البطل بموت البطل فينقسم من كان حوله

إلى فريقين ، الفريق الأول فريق كبير يلتف ويسير خلف البطل الجديد. والفريق الآخر أقل بكثير من الفريق الأول، لا يسير خلف البطل الجديد لأسباب كثيرة ويقول إنه سائر على خطى البطل القديم.

- عظيم، وها أنا قد جئت لهؤلاء الأوفياء الذين اختاروا أن يسيروا على خطاي، هؤلاء هم المخلصون لي حقا.

- ما زلت لا تفهم قواعد اللعبة يا سيدي.

- أي لعبة؟

- قلت لك سابقا لعبة البطل.

- وما قواعد تلك اللعبة؟

- هؤلاء الذين تطلق عليهم أوفياء وساروا على خطاك هم في الحقيقة ينتظرون ويسيرون على خطى بطل راحل.

- وأنا البطل الرحل، وها أنا قد عدت إليهم.

- إن عدت إليهم فذلك يفسد عليهم لعبتهم، فالبطل الراحل لا يعود.

- ولكني عدت.

- يا سيدي البطل الراحل يكفيه قبر من رخام واحتفاليات تقام وخطب وقصائد تلقى في ذكرى رحيله كل عام.. لكن لن يرضى أحد ببطل عائد؛ لأن البطل العائد تلزمه أشياء أكبر من هذا بكثير ولا يكفيه إلا أن يجلس على مقعد البطل، ومقعد البطل - كما تعرف - هو مقعد من يحكم، وهذا إن حدث يفسد قواعد اللعبة.

- وضِّح لي الأمر أكثر.

- سأوضح لك الأمر يا سيدي، الذين لم يسيروا خلف البطل الجديد واختاروا أن يسيروا على خطى البطل القديم هم في حقيقة الأمر اختاروا أن يسيروا على خطى بطل راحل، إن شئت الدقة والصراحة فذلك في مصلحة الجميع؛ فكل من يشارك في هذه اللعبة (لعبة البطل) يعرفون حق المعرفة

أن الهتاف لبطل راحل أفضل لهم بكثير من أن يخرجوا من داخل حدود اللعبة.

- وما دام الأمر هكذا فلماذا لم ينضموا إلى الفريق الأول الذي اختار أن يسير خلف البطل الجديد؟

- ها أنت يا سيدي قد بدأت تستوعب الأمر.

وهنا ظهرت بعض علامات الغضب على وجه البطل تعبيرا عن ضجره من الألفاظ التي يحدثه بها هذا الكبير، لكن هذا الكبير قد فطن إلى الأمر بحكم مخالطته للأبطال، فهو يعرف أمزجتهم ويعرف أنهم تعودوا على أن ينتقي من يحدثهم الألفاظ بعناية.

- أقصد يا سيدي أن فخامتك كما هو معروف عنك سرعة بديهتك أن الأمر بات سهلا بالنسبة لفخامتك.

فظهرت علامات الرضا على وجه البطل من هذه الكلمات.

وعاد الكبير يكمل حديثه قائلا: ربما يا سيدي لم ينضموا إلى الفريق الأول الذي اختار أن يسير خلف البطل الجديد لأنهم شعروا أن البطل الجديد هو نفسه لم يرضَ أن يكونوا من أتباعه، أو ربما لم يرضَ المقربون من البطل الجديد أن ينضم هؤلاء إليهم، ومن الممكن أيضا أنهم لم يجدوا مكانا يرضيهم ومكانة تروق لهم وتفي بطموحهم في ركب البطل الجديد، وربما وجدوا تلك المكانة التي ترضيهم عندما يسيرون على خطى البطل القديم.. المهم أنهم في النهاية موجودون داخل حدود اللعبة ولم يخرجوا منها.

- الآن فهمت ما تقصد، لا يبدو الموضوع أكثر من حرص هؤلاء على الوجود في داخل حدود اللعبة.

- نعم يا سيدي، هو كذلك فعلا؛ لأنهم ببساطة إذا خرجوا من اللعبة سيصبحون في هذه الحالة من العامة والمهمشين الذين لا وزن لهم ولا قيمة، فمقام أقل فرد ممن يوجدون في داخل حدود اللعبة أفضل بكثير ممن يطلق عليهم العامة والمهمشين، وربما وجودهم في تلك المنطقة

أفضل بكثير من أن يكونوا في منطقة مناوئة أو يكونوا في اتجاه ليس تحت السيطرة غير مأمون العواقب.

أتعرف يا سيدي؟ إننا قد أقمنا متحفا يحمل اسمك ويضم جميع مقتنياتك حتى يتذكرك الناس على الدوام.

- ولكني هنا بينكم بنفسي.

- يا سيدي، وجود متحف باسمك يضم مقتنياتك يعني أنك رحلت، ونحن نريد بطلا راحلا وليس بطلا موجودا.. أما وجودك بنفسك كما تقول فذلك يعني أن تكون أنت البطل، وهذا ضمن الأسباب التي تفسد قواعد اللعبة.

- في عصري لم يكن يحدث ذلك.

- يا سيدي، في عصرك وكل العصور التي سبقتك كان يحدث ذلك.

- لم أكن أعرف أن ذلك يحدث، ولم أطلب من أحد أن يفعل ذلك.

- يا سيدي، في بلادي والبلاد التي تشبه بلادي من يحيطون بالبطل يعرفون ما يحتاجه البطل من دون أن يقوله، فهم يقرأون ما في العيون.

- تبًّا لك ولأمثالك.. أنت وأمثالك من الأسباب الأساسية لانتشار الفساد والخراب.

قال كبيرهم بصوت تكسوه نبرات السخرية وقد ظهرت عليه علامات الضجر ولم يعد يطيق تصنُّع الأدب مع البطل؛ فهو يعلم في قرارة نفسه أن البطل لم يعد بطلا، لم يعد بمقدوره فعل أي شيء؛ فهو بمنتهى البساطة بطلا راحلا -:

- يا سيدي، من هم مثلي موجودون في كل عصر وفي كل عهد، لكن بأسماء ووجوه مختلفة، لكننا متشابهون في المنطق والحديث وفي الطاعة، وكلٌ حسب عصره.. بل إن شئت الحقيقة أنا ومن يشبهونني من ثمار الفساد وأنت وأمثالك شجرة الفساد، بل ربما نكون أنا وأمثالي غصنا من أغصان تلك الشجرة، لكنكم أنتم أصل الشجرة.. نحن صنائعكم يا سيدي.. نفعل ما يدور في رءوسكم من دون أن تنطق به ألسنتكم، بل في الحقيقة

إن شعرتم في أي لحظة من اللحظات أنني وأمثالي لا نفعل ما تريدون بمنتهى الدقة تتخلصون منا وكأننا أعداؤكم.. نحن مجرد أعوان وبطانة، قد تختلف أشكالنا وأسماؤنا، لكننا دائما موجودون ما دمتم أنتم موجودين، وإن لم نوجد تصنعوننا، فنحن يا سيدي من ضروريات وجود البطل.

- قل لي يا هذا، ما دمتم بهذه الوضاعة لماذا تحتفون وتقيمون كل هذه الاحتفاليات والمهرجانات في ذكراي ما دامت الأمور كما ذكرت؟

قال كبيرهم بعد أن جلس ووضع ساقا على ساق أمام البطل وأخرج سيجارا فخما من علبة ذهبية وأشعله وهو ينفث دخان سيجاره في وجه البطل، وكان في هذه المرة قد تعمد أن تبدو كلماته كأنه يحادث أحد العامة العاديين -: سأخبرك وإن كنت في حقيقة الأمر غير مضطر إلى ذلك، لكن سأفعل ذلك لأنني في قرارة نفسي أحب أن أقول ذلك..

أتعرف أيها البطل؟ إن هذه أول مرة في حياتي أذكر تلك التفاصيل؛ لأنه ببساطة الكل يعلم هذه التفاصيل، وإن لم ننطق بها فالكل - كما قلت لك يعرف قواعد اللعبة ويطبقونها بتلقائية؛ لأن الأمر صار عاديا، بل صار روتينيا.

نحن نفعل ذلك لأسباب كثيرة، منها على سبيل المثال أن ذلك يدخل ضمن بروتوكولات المجتمع والدولة.

ومنها أيضا أننا نعطي انطباعا لمن يهمه الأمر أننا نحتفي بأبطالنا السابقين.

ولكن سأصدقك القول إن هذه الاحتفاليات والمهرجانات لها مكاسب مادية كبيرة فالموضوع في النهاية ليس أكثر من (أكل عيش).. كما أن الاحتفال بمثل هذه المناسبات يتطلب وجود مدير مسئول عنها ومساعدين للمدير وموظفين وعمال.. إلى آخر تلك المسميات، وهي في آخر الأمر لا تعدو أكثر من «أُبَّهة».

وبالطبع ليست أُبَّهة للبطل الراحل، لكنها أُبَّهة للقائمين على تنفيذ وإقامة تلك الاحتفاليات والمهرجانات.. وهؤلاء لا يشترط أن تتوافر فيهم مميزات

علمية وإدارية معينة.

بل يلزم لمن يقوم بتنفيذ مثل هذه الأعمال والمهام أن يجيد إلقاء الخطب العصماء وترديد الكلمات والشعارات المحفوظة المكررة، وبالطبع يجيد القيام ببعض الأعمال التي قد يطلق عليها البعض أعمالا وضيعة، لكننا نطلق عليها أعمالا ذات طبيعة خاصة.

بدت علي البطل علامات الحسرة

فقال كبيرهم وقد لاحظ ذلك :

- لا تتعجب يا سيدي؛ ففي بلادي والبلاد التي تشبه بلادي لا يكون هناك إلا بطل واحد موجود وأبطال راحلون، أما الحاشية التي حول البطل مهما ارتفع قدرهم وتفاوتت رُتبهم فإنهم بمثابة معاونين للبطل الحالي لا أكثر ولا يتعدى دورهم أكثر من ذلك، وحتى لو حملوا ألقابا مهيبة فهم في النهاية مجرد معاونين لا أكثر وكلهم يعرف ذلك وكل منهم يعرف حدود دائرته التي لا يتعداها أبدا؛ فهم يعرفون ويدركون - عن يقين - أن البطل الحالي هو رقم واحد والآخرين هم مجرد تابعين وأن ترتيبهم ومقامهم يأتيان بعد مسافة شاسعة جدا بعد مقام البطل، وهم في نهاية الأمر مجرد أصفار قد تكون أصفارا كبيرة أو أصفارا صغيرة، لكنها في نهاية الأمر مجرد أصفار لا أكثر، وتلك أيضا من أساسيات قواعد لعبة البطل.

- في عهدي لم يكن الوضع كذلك، كنت أنا البطل وكان معي أبطال كثيرون.

- ما زلت تجافي الحقيقة يا سيدي، في عهدك كنت أنت البطل فقط، ولم يكن هناك أي أبطال آخرون، وكل من كانوا حولك يعرفون بالفعل حقيقة دورهم وحجمهم وحدودهم، ويعرفون أنهم معاونون لا أكثر، وكنت أنت البطل الوحيد، ولو استشعرت في أي لحظة أن أحدا منهم قد تعدى هذه المسلمات والحدود كنت ستتصرف معه التصرف المناسب والمعروف في مثل هذه الأحوال.

يا سيدي، الأمر ببساطة أنه عندما يحين الوقت المناسب لبزوغ نجم بطل جديد ينتظر الآخرون حتى يكتمل بزوغ نجم هذا البطل ويتأكدون من استقراره كبطل، وفي هذه الحالة - وهذه الحالة فقط - يرضون لأنفسهم - إن لم تكن هذه هي أهم أمنياتهم - أن يكونوا مجرد معاونين ومساعدين وتابعين لهذا البطل، بل والبعض منهم - إن لم يكُن أكثرهم - يرضون أن يصبحوا مجرد «كومبارس» في راوية بطلها الحقيقي والفعلي والأوحد هو ذلك البطل الجديد وتربع على العرش، بل في أحيان كثيرة يكون الجميع بمثابة قطع ديكور لا أكثر ليكون مشهدا تمثيليا لإبراز البطل، ومن يخالف قواعد تلك اللعبة فمصيره بات معروفا للجميع.

وبعد كل ذلك عندي لك نصيحة أحب أن أسديها إليك، وبالطبع لن أسديك هذه النصيحة حبا لك، فلم يعد لك أي فائدة بالنسبة لي أو لأي أحد آخر فأنت بطل راحل والأبطال الراحلون لا خوف منهم بأي حال.

- وما تلك النصيحة؟

- نصيحتي لك أن تعود من حيث أتيت حتى تضمن لنفسك أن تحتفظ بلقب (بطل راحل)، أما إن لم تستجب لنصيحتي فستجد نفسك من دون أي ألقاب، بل من المؤكد أنه سيتم وصفك بأوصاف تجعلك تندم ألف مرة لكونك لم تعمل بنصيحتي.

- التاريخ سينصفني.

- ربما..!

لكن ليس الآن، ربما يكون ذلك بعد مئات السنين، فكل بطل يأتي يكتب أتباعه التاريخ ويجعلونه بطل جميع الأحداث، بل وفي أحيان كثيرة تتوه الحقيقة في طيات وقائع التاريخ المزور من جرَّاء تلاعب الأجيال المتلاحقة بالحقائق، لكن من العدل أن نقول إن التاريخ يا سيدي كلما مرت السنوات يصبح أكثر عدلا في حكمه على الأحداث، فتعدد الحقب الزمنية بمثابة مصفاة للتاريخ تنقيه من الشوائب والتشوهات التي حلت به.

- قل لي يا هذا، لماذا تقدم لي تلك النصيحة وأنا كما تقول لم يعد لي أي فائدة بالنسبة لك أو لغيرك وكما تقول أيضا لم تقدم هذه النصيحة حبا لي؟

- الموضوع بسيط يا سيدي، لقد قدمت لك تلك النصيحة حتى تذهب إلى حال سبيلك بأقصى سرعة، حتى لا تفسد علينا لعبتنا أو بمعنى أكثر دقة حتى لا تضيع وقتنا في أشياء لا طائل منها.

- عندي سؤال.. لاحظت أنكم تعلقون في كل مرة تحتفلون فيها بذكرى رحيلي صورا لرجلا تملأ المكان، وهي ليست صوري، فمن يكون هذا الرجل؟

- آه، هذه صور البطل الحالي.

- نعم نعم فهمت، لكني لا أعرفه، هل كان موجودا عندما كنت في السلطة؟

- نعم لقد كان موجودا في أثناء وجودك في السلطة، إنه كان أحد مساعدي أحد وزرائك.

قال البطل وقد رفع رأسه وأخذ يتأمل إلى إحدى الصور الكثيرة للبطل الحالي -:

- نعم نعم تذكرته، إنه كان مهمشا ولم يكن يبدي رأيه في أي أحداث تقع، وكان كثير السكوت وكان مشهورا عنه أنه موافق على كل شيء، لم ترد لي أي معلومات من أجهزتي الرقابية أنه اعترض أبدا في يوم من الأيام.

- يا سيدي، إن الصفات التي ذكرتها هي الصفات التي يجب أن تتوافر لمن يريد أن يستمر في الوجود الآمن بالقرب من دائرة السلطة حتى تحين الفرصة المناسبة لاقتناص ما يريد.

متمتمًا في سره :

- نعم نعم أعلم ذلك.

كانت هذه الكلمات هي آخر كلمات نطق بها البطل، ثم ما لبث أن رفع رأسه ليرى صور البطل الحالي وهي تملأ المكان ثم هز رأسه وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ثم استدار البطل وعاد إلى قبره بعد أن علم أنه لا يملك غير هذا ليظل يحتفظ بلقب البطل الراحل.

تعالت صيحات الجماهير تذكر مآثر البطل الراحل..

وعاد من يردد من جديد بصوت جهوري ومؤثر:

واحد وعشرون عاما مضت على موت البطل..

واحد وعشرون عاما مضت على فراق البطل..

واحد وعشرون عاما مضت على رحيل البطل..

لقد كان البطل مثالا يُحتذى به في كل شيء.

لقد كان البطل مفجر الثورة التي غيرت مسار البلاد..

فلنتعاهد على أن نسير على خطى البطل..

فلنتعاهد على أن نكمل ما بدأه البطل..

وعادت الجماهير الغفيرة تصفق لكلمات الرجل وتذرف الدموع على البطل الراحل.

والبطل الراحل في قبره ولسان حاله يقول:

عندي ما يكفي لبطل راحل:

قبر من الرخام..

واحتفاليات تقام..

وخطب وقصائد تُلقى في ذكرى رحيلي كل عام..

ومتحف يخلد مقتنياتي..

واحتفاظي بلقب البطل الراحل..

فهو أفضل من لا شيء..

ثم تمدد البطل على الأرض وأغمض عينيه وقال: لأكن صادقا مرة في حياتي .. سأقول الحقيقة فلن يسمعني أحد علي أي حال:

لقد كنت أنا من صنعت لعبة البطل.

حالم وأحلام

فأنا صنعتك من هواي ومن جنوني
ولقد برئت من الهوى ومن الجنون

(كامل الشناوي)

حالم.. هذا هو اسمه، بل إن شئت الدقة والصدق هذا هو اسمه وصفته..
اسمه حالم، وهو بطبيعته حالم.
رجل تجاوز الثانية والأربعين من العمر.
في تمام الساعة السابعة والنصف من صبيحة كل يوم تجد حالم جالسا في مقر عمله بمكتب السجل المدني.
وقد اعتاد الجميع أن يأتي حالم إلى عمله في هذا الوقت المبكر صباح كل يوم.
في بادئ الأمر كان زملاؤه يعتقدون أنه يأتي في هذا الميعاد المبكر لكونه نشيطا .. فمعظم زملائه في العمل يحضرون إلى عملهم بعد الساعة الثامنة والنصف وأحيانا بعد هذا الميعاد بوقت كبير.
لكن لم يكن هذا هو السب الوحيد الذي يجعله موجودا في هذه الساعة

المبكرة جدا .
في أحد الأيام سأله أحد زملائه عن السر في ذلك فأجابه حالم بمنتهى البساطة والصدق بأنه يأتي يوميا في هذا الميعاد المبكر إلى عمله ليس حبا في العمل لكن بحكم أشياء أخرى خارجة عن إرادته..
ففي فترة الدراسة يضطر إلى توصيل أبنائه إلى مدارسهم بسيارته المتواضعة في الصباح الباكر، ثم يأتي إلى مقر عمله ويترك السيارة لزوجته لتذهب بها إلى مقر عملها الذي يبتعد بعض الشيء عن مقر عمله في الميعاد المناسب.
وكانت طبيعة عمله بالسجل المدني هي مراجعة المستندات والتوقيع عليها قبل ختمها لتصبح بعد ذلك مستندات نهائية.
وكان يفعل ذلك بصفة روتينية بحتة لعشرات المستندات يوميا.
وفي أحد الأيام وفي أثناء مراجعته لمستند خاص بإحدى السيدات التي تطلب فيه تعديل مقر إقامتها، أخذ يراجع المستند تمهيدا للتوقيع عليه وختمه كما يحدث لمستندات كثيرة غيره، لكن في هذه المرة كان هناك شيء مختلف فقد قرأ الاسم أكثر من مرة وقال لنفسه بصوت خافت إنها هي، نعم هي، هو نفس الاسم ونفس العنوان الذي أعرفه، إنها هي.. إنها هي.. إنها أحلام.
أسند ظهره إلى كرسيه بهدوء وأغمض عينيه واستدعى تلك الذكريات الجميلة التى يعود عمرها إلى أكثر من عشرين عاما مضت.
تذكر كيف كان كل أبناء دفعته بالكلية يتسابقون كي يفوزوا بقلب أحلام.
لقد تذكر أحلام، تلك الفتاة الجميلة الرقيقة الهادئة المثقفة.
كانت أحلام مثالا حيا للفتاة الطموح، لها نشاط ملحوظ في معظم أُسر الكلية، خاصة تلك الأسر المهتمة بالنشاط الثقافي، متابعة لكل ما حولها من أحداث سياسية وأدبية تنظم الندوات والرحلات والمسابقات لزملائها.
تناقش من يختلف معها في وجهة نظرها بكل إصرار حتى تقنع من تحاوره بما تقتنع.
وكان الجميع سعداء بها.

الأولاد يعتبرونها مثالا لفتاة أحلامهم.
والفتيات يغرن منها، لكن لا يستطِعن أن يُصّرحن بذلك لحاجتهن الدائمة إليها.
وهي كانت تعرف ذلك فتزداد ثقتها بنفسها.
فأفضل ما في الفتاة الجميلة أن تكون هي نفسها تعرف أنها جميلة، فذلك يضيف إلى جمالها جمالا ونُضجا.
كان حالم يحب أحلام من كل قلبه، لكنه احتفظ بهذا الحب لنفسه، ولنفسه فقط، ولم يبُح لأي أحد من زملائه بهذا الحب ولم يجرؤ في يوم من الأيام أن يخبرها بحقيقة مشاعره تجاهها.
تذكر حالم ذلك اليوم الذي لا ينساه أبدا ولا تضيع تفاصيله من ذاكرته.
تذكر ذلك اليوم الذي رأى فيه أحلام وهي تتأمل زهرة وتتحسسها بيدها وتشمها، ثم تركتها على غصنها من دون أن تقطفها.
فقد كانت أرق من أن تقطف زهرة من على غصنها.
على الفور ذهب حالم وقطف تلك الزهرة ووضعها بين أوراق أحد كتبه ليحتفظ بها.
وظلت هذه الزهرة بالنسبة لحالم بمثابة تذكار ذهبي من حبيبته على الرغم من أنها لم تهدها له.
كثيرا ما كان يجلس وحيدا منفردا بزهرته يتحسسها ويشمها، وكثيرا ما جالت به تخيلاته ورأى أن أحلام جاءت إليه ومدت يدها الرقيقة وأعطته الزهرة بعد أن طبعت على أوراقها قبلة.
ولطالما تكرر هذا الحلم مع حالم.. وها هو يتكرر الآن وهو جالس على مكتبه في مقر عمله.
في أثناء ذلك سمع صوت أحد زملائه يقول له: أستاذ حالم، هل انتهيت من مراجعة الأوراق التي أمامك لتُسلم إلى أصحابها؟
فأفاق من حلمه على صوت زميله وأجابه: نعم لقد انتهيت.

فأخذ زميله المستندات وغادر الغرفة.
وأسرَّ حالم بشيء ما في داخله، وهو أن يقوم هو بنفسه بتسليم أحلام المستندات التي تخصها حينما تأتي في الميعاد المقرر لتسلمها.
ومن دون أي مجهود أو عقبات تُذكر استطاع حالم أن يطلب من زميله في العمل - القائم بأعمال تسليم المستندات للجمهور - أن يقوم هو بنفسه بتسليم مستندات أحلام لها عندما تأتي لتسلمها بحجة أنها إحدى قريباته.
وعلم حالم من زميله أن الميعاد الذي تم إبلاغه لأصحاب تلك المستندات ليتسلموها فيه هو صباح الغد.
وفي الصباح حضر حالم إلى مقر عمله في ميعاده المعتاد، لكن في هذه المرة كان مختلفا؛ فقد كان يرتدي بدلة أنيقة وكان كل من يسأله من زملائه عن سبب حضوره إلى العمل بهذا الشكل المهندم المبالغ فيه كان يقول لهم إنه سيقوم بعد انتهاء العمل بحضور حفل زفاف أحد أقاربه ولا يتوافر الوقت الكافي ليعود إلى المنزل ليستبدل ملابسه.
وكانت زوجته قد شاهدته وهو يتهيأ للنزول إلى عمله، وقد رأته يرتدي تلك الملابس الأنيقة ويعتني بمظهره العام بطريقه لافتة للنظر، فاستفسرت عن سبب ذلك فكانت إجابته التي أقنعتها على الفور ومن دون أي مجهود أنه سيحضر اجتماعا مهما خاصا بالعمل.
بعد مرور أكثر من ساعتين منذ حضوره إلى مقر عمله أتاه من يخبره أن السيدة صاحبة الأوراق قد جاءت لتتسلم أوراقها، وكان حالم قد رتب للأمر جيدا كي يتأكد أنه هو من سيقوم بتسليم أحلام الأوراق الخاصة بها.
فقد كان الأمر بالنسبة له مهمًّا جدًّا؛ فرؤيته لأحلام بعد مرور هذا الوقت كله لها أكثر من معنى، فيكفيه سعادة أنه سيرى من كان يوما ما يحبها، أو بمعنى أدق سيقابل من لا يزال يحبها، فالحب الأول عادة لا يُنسى أبدا، خاصة مع شخصية مثل حالم، فهو حالم وشخصية مثل أحلام فهي أحلام.
وأحلام بالنسبة له بعد مرور هذه السنوات كلها لم تكن مجرد ذكرى

حب شاب لفتاة فقط، بل كانت بمثابة تذكار جميل من زمن جميل عاشه واستمتع به، لكنه فقده بمرور الزمن.

وها هي الأيام تعيدها إليه من جديد برضاها..

بل ربما تكون عودة أحلام إليه بمثابة بداية لعودة أشياء أخرى جميلة كان قد فقدها..

لم يتمالك حالم نفسه من السعادة، فما تمناه ها هو يتحقق.

وها هي أحلام على بعد خطوات منه.

بل إن نسمات الهواء التي تلامس جسده الآن ربما تكون قد مرت وهي في طريقها إليه بطيف أحلام.

وما المانع أن يحدث ذلك؟ فأحلام قريبة منه جدا وليس ذلك حلما بل حقيقة.

سمع بأذنيه صوت خطوات قادمة إليه في الطرقة المؤدية إلى مكتبه فكانت كل خطوة من تلك الخطوات لها وقع خاص في قلبه.

وكان حالم يقف منتظرا اللقاء المرتقب وعيناه متعلقتان بالباب، منتظرا دخول أحلام إلى غرفة مكتبه.

وفجأة دخلت عليه سيدة بدينة بعض الشيء ترتدي ملابسها بطريقة ليس بها أي نوع من التناسق وتحمل طفلا على كتفها ويمسك بملابسها طفل آخر، والطفلان يبكيان.

دخلت السيدة البدينة الحجرة، وقالت: هل الأستاذ حالم موجود؟

رد حالم على هذه السيدة ببعض الضيق: أنا حالم.

وعيناه ما زالتا متعلقتين بالباب تنتظران قدوم أحلام.

قالت السيدة بصوت به بعض الفتور وبعض الحدة: أبلغني أحد الموظفين من زملائك أن أوراقي معك.

قال حالم: ليست معي أي أوراق.

وما زالت عيناه متعلقتين بباب المكتب ينتظر قدوم أحلام.

وقال للسيدة وهو مشغول تماما:
اذهبي إلى الشباك المخصص لتتسلمي منه أوراقك.
قالت السيدة: لقد أكد لي زميلك أن أوراقي معك وأنك سوف تقوم بتسليمها لي بنفسك.
قال حالم - وهو ما زال ينظر إلى الباب ينتظر قدوم أحلام -: يا سيدتي أنا لا أسلم أحدا الأوراق بنفسي، اذهبي إليه مرة أخرى.
قالت السيدة: كيف ذلك؟ لقد أكد لي زميلك ما أقول، من فضلك راجع الأوراق التي أمامك لعلك تجد بينها أوراقا باسم أحلام، فأنا - كما ترى - لا أستطيع أن أتنقل بين المكاتب لوجود الطفلين معي.
وهنا أفاق حالم من حلمه حينما سمع الاسم..
قال: أوراق باسم من؟
قالت: أحلام.
قال: أحلام من؟
قالت: أنا أحلام، جئت لكي أبدل مقر إقامتي.
قال: ما اسمك بالكامل؟
قالت: اسمي أحلام عبد الحميد السويفي
١٥ شارع الزهور – مصر الجديدة .
قال - في ذهول -: أأنتِ أحلام؟
قالت: نعم، أنا أحلام.
فارتمى حالم على كرسيه وجلس صامتا يعتريه الذهول.
وامتدت يده إلى الأوراق التي أمامه وسلمها إلى السيدة التي مدت يدها إليه وأخذت منه الأوراق بمنتهى الفتور وغادرت المكتب.
أخذ حالم نفسا عميقا وارتسمت على شفتيه ابتسامة تنم عن السخرية وقال لنفسه بصوت خافت:
تبًّا لك يا حالم، ها هو آخر حلم قد أيقظتك منه أحلام.

الأستاذ

قالت الأفعى: رغم أن البشر يلعنونني
أظل أفضل من بعضهم
وعندما ألدَغُ أحدا
فإنني - على الأقَلّ - لا أدّعي صداقَتَه

(مريد البرغوثي)

كانت تشير عقارب الساعة المثبتة على الحائط - التي أحضرها من باريس في آخر زيارة قام بها لتلك المدينة التي يعشقها - إلى الساعة الحادية عشرة مساء.

فنظر إليها وكأنها نظرت إليه وشعرت بمدى إرهاقه فأشفقت عليه وأطلقت دقاتها الرتيبة لتنبهه أنه ظل يعمل أكثر من عشر ساعات متصلة فاستجاب لندائها وكأنه ينتظره.

كان الأستاذ - وهو اللقب الذي يناديه به الجميع - حائرا في اختيار موضوع مقال الغد، وكانت الكلمات كعادتها معه تهرب منه وتراوغه.. فهو قد تعود على مراوغة أفكاره له، فهو يراوغها وتراوغه، ثم سرعان ما تستسلم له وتأتي

له طواعية فيكتب الجملة وراء الجملة والفكرة وراء الفكرة حتى يجدل عقدا مدهشا على هيئة مقال رائع ينتظره القراء كل صباح..

وفور أن اطمأن أن العدد الجديد من الجريدة قد طُبع وخرج إلى النور نهض من على كرسيه وضغط جرس المكتب المثبت بجوار قدمه فدخل سكرتيره الشخصي على عجل فطلب منه أن يخبر السائق أنه سينصرف الآن.

وفي أثناء ذلك تناول ورقة من فوق مكتبه وسطر بقلمه الذهبي أول عنصر من عناصر مقاله الجديد: «تآكل الطبقة المتوسطة وما يمثله ذلك من خطر حقيقي على المجتمع».

وغمرت وجهه ابتسامة رضا بعد أن اقتنص ذلك العنصر وخطفه من زحام خيال الإبداع ليتحفظ عليه بين سطور الأوراق.

جاء الساعي وحمل حقيبة وجاكيت الأستاذ.

وانتظرا حتى خرج الأستاذ من المكتب بعد أن حيَّاه كل من السكرتير والساعي بتحية أقرب إلى التحية العسكرية، مع فارق بسيط أن التحية العسكرية من يؤديها يكون منتصب القامة ويقف «انتباه» ولا يبتسم، أما هذان فكانا يؤديان تحيتهما التي هي أشبه بالتحية العسكرية وهما ينظران إلى الأرض بعض الشيء ويرسمان على وجهيهما ابتسامة غير مفهومة، وكان الأستاذ في أحيان كثيرة يرد على تحيتهما بإيماءة من رأسه أو لا يرد بأي شيء وهما تعودا منه ذلك وهو تعود منهما ذلك أيضا.

يُسرع الأستاذ خطاه في الطرقة المؤدية إلى باب الجريدة وكان كل من يقابله يحييه بنفس نمط تحية السكرتير والساعي..

لمح أفراد الأمن الواقفون على الباب الخارجي للجريدة الأستاذ وهو يُخرج مُسرعا، فهبُّوا واقفين، وكانوا يعلمون بموعد خروج الأستاذ؛ حيث سبق أن أبلغهم السكرتير ليستدعوا المصعد ووقف أحدهم ممسكا ببابه فدخله الأستاذ بسرعة ومن خلفه دخل الساعي.

ليهبط إلى الطابق الأرضي، حيث باب المبنى الذي يوجد به مقر الجريدة،

وقد وقف أفراد أمن المبنى فور رؤيتهم للأستاذ وحيوه بذات التحية مع ترديد العبارة التي تعودوا أن يودعوا بها الأستاذ كل ليلة: «مع السلامة يا باشا».. وبادلهم الأستاذ التحية بإيماءة من رأسه.

كانت سيارة الأستاذ الفخمة بلونها الفضي المهيب تنتظره أمام مدخل المبنى ويقف السائق ممسكا بباب السيارة الخلفي وهو يحييه بنفس نمط التحية.

كان الجميع يفعلون ذلك بنفس التفاصيل وإن لم يتفقوا على ذلك.

دلف الأستاذ إلى السيارة بسرعة وجلس في المقعد الخلفي باسترخاء تام أشبه بالإعياء، وكان حريصا كل الحرص على ألا يراه أحد مهما كان بهذه الهيئة، فهو يعرف جيدا قيمة الصورة الذهنية المرسومة له في عقول ووجدان الناس، ولا يريد لهذه الصورة أن تتغير أو تهتز أبدا، فقد دفع الكثير لتتشكل بالكيفية التي أرادها.

أخذ السائق الحقيبة والجاكيت من الساعي بعد أن أغلق باب السيارة ووضعهما بعناية بجواره على المقعد الأمامي المجاور له.

وبمجرد أن تحركت السيارة طلب الأستاذ من السائق أن يضع أسطوانة السيدة فيروز؛ فهو يعشقها، خاصة في نهاية يوم عمل شاق.

وشدت فيروز بصوتها الرائع:

أعطني الناي وغنِّ.. فالغناء سر الوجود.. وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود.. هل اتخذت الغاب مثلي؟

وظل الأستاذ ينظر من خلف زجاج السيارة وهو شارد الذهن تماما، وفي أحيان أخرى يفيق من شروده على صوت السيدة فيروز فيردد كلمات الأغنية معها بصوت أقرب إلى الصمت وهو مغمض العينين محركا كف يده اليمنى من خلف الكرسي حتى لا يشعر به السائق.

وبين الحين والحين في أثناء وقوف السيارة بإحدى الإشارات ينتبه إلى أحد الأشخاص المعجبين بكتاباته يحييه فيرد التحية بإيماءة من رأسه أو بإشارة بيديه أو بابتسامة عريضة يحاول جاهدا أن تبدو غير مصطنعة.

وبين الحين والحين يطلبه بعض الأشخاص على تليفونه المحمول فيحاول أن ينهي المكالمة بسرعة لإحساسه الشديد بالإرهاق.

وما زالت فيروز تشدو:

أعطني الناي وغنَّ.. فالغناء سر الوجود.. وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود.. هل اتخذت الغاب مثلي؟

ما عدا مكالمة واحدة أتت إليه من مسئول كبير طلبه فلم يستطِع أن يُعجِّل بالمكالمة حتى أنهاها المسئول الكبير بنفسه - مما حدا بالسائق أن يغلق صوت مشغل الـ«سي دي» في أثناء تلك المكالمة؛ فهو بحسه وخبرته الطويلة مع الأستاذ يعلم متى يفعل ذلك.

وقد أرهقت هذه المكالمة الأستاذ بعض الشيء؛ حيث وجد نفسه يعتدل في جلسته بطريقة لا إرادية ويقرب أذنه للتليفون بأكبر قدر ممكن حتى لا تفوته أي كلمة من كلمات المسئول الكبير.

وبعد أن أنهى مكالمته مع ذلك المسئول وأسند ظهره لمقعد السيارة أطلق من أعماقه تنهيدة عنيفة أطلق معها بعض توتره بعد هذه المكالمة التي أرهقته كثيرا، ووجه حديثه للسائق قائلا: «سمّعنا فيروز تاني يابني».

وفي لحظة خاطفة خطر بباله العنصر الثاني من مقال الغد فأسرع في اقتناصه حتى لا يهرب منه: «من أسباب تآكل الطبقة المتوسطة ذلك الفارق الطبقي الشاسع بين فئات المجتمع، وعدم وضع تصور حقيقي بطريقة جادة لإيجاد حلول لتقليص هذه الفوارق الطبقية للحد من تنامي هذه الفوارق بقدر الإمكان».

اقتربت السيارة من فيلا الأستاذ فلمحها أفراد الأمن الخاص الواقفون على بوابة السور الخارجي لحديقة الفيلا فأسرعوا بفتحها على الفور، ودخلت السيارة بسرعة إلى حديقة الفيلا..

وبسرعة البرق انقض عليه العنصر الثالث من المقال فأسرع في تدوينه: «ومن الأسباب الأساسية التي تسهم في رقي المجتمع أن نعمل جميعا

بشتى الصور في تعميق إحساس الانتماء لدى الشباب حتى يعطوا لوطنهم أفضل ما عندهم، وبهذا يمكن - بقدرٍ ما - أن نسهم بحلول عملية بالنهوض بطبقات المجتمع المختلفة، خاصة المجتمعات التي يطلق عليها مجتمعات محدودي الدخل».

وقفت السيارة في مكانها المخصص ونزل السائق بسرعة ملحوظة وفتح باب السيارة الخلفي للأستاذ الذي خرج على مهل وفي يده سيجار فخم وهو ينفث دخانه في الهواء وودعه السائق بذات التحية.

همَّ الأستاذ أن يدخل باب الفيلا، لكنه لمح زوجته تجلس مع بعض صديقاتها بالقرب من حمام السباحة فاقترب منهن وحياهن وسأل عن الأولاد فأخبرته زوجته أنهم قد خلدوا إلى النوم.

استأذن الأستاذ من الضيوف ليستريح من عناء يوم شاق.. وقبل أن يذهب صاحت به إحدى الصديقات وهي تضع ساقا على ساق وقالت وهي ترفع إحدى يديها وهي تشير بعلامة النصر: «على فكرة.. مقالك النهارده كان جامد». فظهرت على شفتي الأستاذ ابتسامة رضا وتركهن وانصرف.

قبل أن يدخل الأستاذ باب الفيلا لمحه كلبه الوفي الضخم فجاء إليه مسرعا وهو يهز ذيله مرحبا بقدوم سيده، فمسح الأستاذ على رأس الكلب وسأل أحد أفراد أمن الفيلا: هل جاء الدكتور وفحص الكلب؟ لقد كان يعاني منذ يومين عدم القدرة على تناول الطعام.

فطمأنه فرد الأمن أن الكلب الآن قد تعافى وأنه قد أكل اليوم كمية اللحم المطلوبة والمخصصة له، فهز الأستاذ رأسه معبرا عن رضاه عمَّا سمع.

دخل الأستاذ الفيلا وصعد إلى الدور الثاني مباشرة، حيث توجد غرف النوم، ودخل إلى غرف نوم أولاده بعد أن تسلل على أطراف أصابعه حتى لا يوقظهم وقبَّلهم ومسح على رءوسهم وتركهم وأغلق باب الغرفة بهدوء.

ودخل غرفته فاستبدل ثيابه وسرعان ما سمع طرقات الخادمة الفلبينية على الباب فأذن لها بالدخول، وقبل أن تنطق قال لها بالإنجليزية: «شكرا،

لن آكل شيئا وسأذهب إلى الفراش للنوم». فخرجت الخادمة على الفور وأغلقت الباب خلفها.

فتوجه الأستاذ إلى الفراش وتمدد عليه ليتهيأ للنوم ونظر إلى سقف حجرة نومه ولم يلبث أن هاجمته الأسئلة والخواطر التي لا تُفوِّت أي فرصة يكون فيها منفردا بنفسه إلا وهاجمته؛ حيث دائما ما تهاجمه بسؤال، وغالبا ما كان يأتي هذا السؤال عقب نشره مقالا ناريا من تلك المقالات التي اشتُهر بها وتشغل القراء لعدة أيام، وكان السؤال هو: هل لو كنت في عصر غير هذا العصر الذي نعيش فيه، فترة الستينات مثلا، هل كنت سأكتب ما أكتب؟ وهل كنت سأقول مثل ما أقول؟

فكان في أحيان كثيرة يتغافل أو يتجاهل ويشغل نفسه عن الإجابة عن تلك الأسئلة، لكن حينما تتكاثر مثل تلك الأسئلة وتتزاحم في رأسه كان يقول لنفسه: أنا جئت في هذا العصر ولم أجئ في عصر غيره، وتعاملت مع مفردات هذا العصر ولم أتعامل مع مفردات عصر غيره، وذلك بحكم وجودي الفعلي فيه وفهمت قواعد لعبة هذا العصر ولست معنيا أن أفهم قواعد ألعاب عصور غيره.

وكان يدرك في قرارة نفسه أنه دخل مع آخرين في إطار لُعبة يعرفون قواعدها جيدا (قل ما تريد واكتب كما تريد وليفعل الآخرون ما يريدون). وكان غالبا ما ينهي إجابته لكي تطمئن نفسه بقوله: «أنا بعمل اللي عليَّ» والنتائج لا دخل لي بها.

وكان دائما ما يقول لنفسه: ليس شرطا أن أكون فقيرا لأدافع عن الفقراء ولا أن أكون جائعا لأدافع عن الجوعى؛ فالفقراء والجوعى لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم وهم على هذه الحالة، وقد يكون القدر جعلني صوتهم.

وكانت إجابته تأتي سريعة ومتلاحقة ليرضي نفسه، وكأنه بتلك الطريقة يحاول أن يقنع نفسه حتى تكف عنه ولا تلاحقه بوابل من تلك النوعية من الأسئلة التي ترهقه.. ويواصل سرد مبرراته لنفسه ويقول: أعلم أنه لا

شيء يتغير مهما كتبت ومهما قلت، لكن ماذا أفعل «هو أنا مغسل وضامن جنة؟» ويغمض عينيه وترتسم على شفتيه ابتسامة باهتة لا معنى لها، هي أقرب لابتسامة المهزوم الذي لا يملك من أمره شيئا.

ولم يحدث أن «فضفض» في أي وقت من الأوقات لأحد ممن حوله مهما كانت درجة قربه منه بتلك الهواجس التي تنقض عليه بين الحين والآخر؛ فهو حريص على أن يراه الجميع بصورته التي يحب أن يروه عليها.

وقبل أن يطفئ الأنوار تناول الورقة التي يدون بها عناصر مقال الغد ودوَّن آخر عنصر في المقال: «إن لم يحدث ذلك فهناك خطر كبير وحقيقي على مستقبل الوطن؛ لأن هؤلاء الشباب هم الثروة الحقيقية لأي وطن، إذا نهضوا نهض الوطن وإذا انكسروا انكسر الوطن، وهؤلاء الشاب هم الركيزة الأساسية لأي مجتمع».

وأحس بارتياح شديد بعد أن انتهى من تدوين العناصر الرئيسة لمقال الغد.. وقبل أن يضع الورقة على «الكومودينو» المجاور للسرير دوَّن ميعاد لقاء مرتبط به في الغد حتى لا ينساه؛ فهو سيكون متحدثا رئيسيا في تلك الندوة: «الساعة الخامسة ندوة عن أطفال الشوارع» (وكتب اسم الفندق الفخم الموجود على النيل الذي ستقام به الندوة).

وأطفأ الأنوار وراح في نومٍ عميق.

مكعب الثلج

فحياة فخلود أم فناءٌ فدثور؟
أكلام الناس صدقٌ أم كلام الناس زور؟

(إيليا أبو ماضي)

هناك في إحدى زوايا «الفريزر» يرقد مكعب الثلج بلونه الأبيض الشفاف قابعا مستسلما لا ينتظر أي شيء؛ فهو يعرف عن يقين أنه في الوضع والمكان الملائمين له تماما.

فكل المحيطين به يتخذون نفس هيئته وإن تغير الاسم واللون، فهم في نهاية المطاف مجرد مكعبات ثلج.

وكلهم على هذه الحالة لا يشعرون بأي شعور غير عادي إزاء الآخرين وإزاء أنفسهم.

لا يعكر صفوهم سوى أن تمتد يد بمنتهى السهولة داخل «الفريزر» وتُخرج ما تشاء من تلك المكعبات ثم ما يلبثون أن يعود كل منهم إلى وضعه الذي اعتاد عليه.

وكان من حظ مكعبنا أن تلقفته هذه المرة يد بشرية أخذته ووضعته بإهمال عادي ضمن عدد من المكعبات الثلجية الأخرى لتبدأ رحلة لا

يعرفون نهايتها.
وبعد أن يأخذ كل شيء دوره الطبيعي في المطبخ، تمتد أي يد لتضع هذه المكعبات بشكلها الجديد على طاولة الطعام، لكن هذه المرة الأمر مختلف فلم يعد مجرد مكعب ثلج كما كان، فقد أصبح له طعم ولون ورائحة ومذاق وشخصية.. نعم شخصية افتقدها كثيرا، بل ربما نسيها وهو قابع في «الفريزر».
لقد كانت كل ساعة تمر عليه في هذا السجن تُفقده جزءا من شخصيته ويتحول شيئا فشيئا إلى مكعب ثلج.. مجرد مكعب ثلج.
امتدت الأيدي كعادتها دائما تتلقف هذه المكعبات بشكلها الجديد وتأكلها بنهم شديد بعد أن استعادت شخصياتها.
ويا للعجب، لم تمتد الأيدي نحو مكعبنا القابع على طاولة الطعام في استسلام تام لمصيره الذي لا يعرفه.
وبعد انتهاء الطعام تلقفته يد وأعادته إلى «الفريزر» مرة أخرى ليعود من جديد مجرد مكعب ثلج قابع في مكانه ينتظر ويتابع مصائر زملائه من مكعبات الثلج الأخرى القديم منها والجديد، لكن هذه المرة كان إحساسه مختلفا تماما؛ فقد أدرك أخيرا الفرق الشاسع بين أن يكون مجرد مكعب ثلج وأن يكون له طعم ولون ورائحة وشخصية.
أصبح ينتظر - بمنتهى اللهفة - أن تأتي يد لتحرره من جديد من سجنه القاسي في هذا «الفريزر» اللعين ليشعر أنه يعود للحياة بعد أن تدب فيه الروح.
وهو يعلم كل العلم أنه ربما لو خرج من مخدعه لن يعود إليه مرة أخرى، فقد سبق أن خرجت مكعبات أخرى كانت تقبع بجواره ولم تعد حتى الآن، فهو يدرك أن رحلته المحتومة ربما تخرجه من عزلته المفروضة عليه في إحدى زوايا «الفريزر» وتمنحه حريته ولو لوقت قصير ومحدود.
وسينتهي مصيره حتما كما حدث لكثير من مكعبات الثلج الأخرى.

لكن شوقه ليستعيد طعمه ولونه ورائحته وشخصيته جعله لا يشغل تفكيره بهذا المصير المجهول.

لقد ذاق طعم الحرية، ويا له من مذاق رائع وأخاذ، أيقن معه أن بعض الموت نجاة.

فقد أدرك أخيرا أن الحرية مع الفناء أفضل وأرقى بكثير من الخلود في ظل العدم.

مُهرج المدير

ارتقوا فإن القاع قد ازدحم

هناك في حجرة الاجتماعات وحول الترابيزة الفخمة المستطيلة التي تتوسط الحجرة تتراص مجموعة من الكراسي المتشابهة بترتيب محدد ومتناسق.
على رأس الترابيزة يبدو الكرسي المميز بظهره العالي ومنظره المهيب، ولهذا الكرسي تحديدا قيمة يعرفها جميع العاملين بالمؤسسة الحكومية؛ فهو مكان جلوس المدير أو مكان جلوس من يترأسون المدير حينما يزورون المؤسسة لأي سبب كان.
وعادة ما يبرع كل من طقم السكرتارية وقسم العلاقات العامة بالمؤسسة في خدمة من يجلس على هذا الكرسي أيا من كان، سواء أكان المدير أم رؤساء المدير.. فالجميع عندما يفعلون ذلك تكون نظراتهم وعقولهم وقلوبهم موجهة صوب المدير، فبخبرتهم الطويلة يعرفون حق المعرفة أن الذين يجلسون على هذا الكرسي كزائرين سيغادرون المؤسسة ويبقى المدير.. وما أدراك ما المدير؟!
بكلمة واحدة منه ينقل هذا ويرقي هذا ويعطي مكافأة لهذا.
في أحد أركان الحجرة يوجد «أنتريه» جلد أسود فخم، كما توجد بعض

الكراسي المثبتة في حائط الغرفة، وهي أشبه بكراسي السينما، مخصصة لجلوس السكرتارية، بل هي بالفعل كراسي سينما؛ حيث اعتاد طقم السكرتارية الجلوس عليها لمدة طويلة لمتابعة الاجتماعات، وقد اعتادوا على ذلك فأصبحوا كمن يشاهد فيلما مملا مكررا، شاهدوه مئات المرات.. نفس الكلمات ونفس المجاملات ونفس الأحقاد ونفس الابتسامات الصفراء المقيتة ونفس النهايات المملة الكئيبة.

لا يخرجهم من هذا الجو التمثيلي إلا حينما يدخل موظف الخزينة ومعه مظروف مغلق باسم كل من حضر الاجتماع ويناول كلا منهم المظروف الخاص به الذي سرعان ما يقوم كل منهم بدس هذا المظروف في جيب الجاكيت بحركة معتادة وروتينية تمرنوا عليها من كثرة ما كرروها، وربما يكون هذا الفعل هو الشيء الوحيد الذي تم تنفيذه بدقة في هذا الاجتماع.

قبل الوقت المحدد للاجتماع يحضر جميع من تم إبلاغهم بموعد الاجتماع.. البعض يدخل الحجرة وهو يحمل بعض المستندات والأوراق، والبعض يدخل ولا يحمل حتى قلما، ويحرص كل فرد من الحاضرين على أن يجلس بجوار من يستريح معه ويفضل الابتعاد عمَّن يختلف معه.

يجلس الجميع.. يسر كلٌّ منهم في أذن مَن بجواره حديثا لا يعلمه سواهما، وعادة لا يكون حديثا ذا جدوى إن لم يكن حديثا تافها، ولا مانع من رسم وافتعال علامات الجد والهيبة.

ولا يمنع ذلك من تبادل السلامات والتحيات مع الآخرين، لكن ما في القلب في القلب وما في الضمير في الضمير.

وعلى الرغم من الوجوه المبتسمة والأيادي الممتدة بالسلام يخبئ كل منهم في داخله ما يخبئ.

فلكل منهم تاريخ حافل بالاختلاف والأطماع، وأحيانا تكون الاختلافات والأطماع كبيرة، وكثيرا ما تكون تلك الاختلافات والأطماع على الفتات.

كل هذا يحدث بهدوء تام ومن دون أي ضجيج، وكأن الأمر مرتَّب لاعتيادهم

على ذلك؛ فالكل يعرف ما يريد.
في لحظة خاطفة وبخطى سريعة أشبه بالهرولة يدخل المدير ومن ورائه مدير مكتبه..
وينهض البعض من مقعده بصورة فورية كمن لدغته عقرب في حركة روتينية من دون أدنى تفكير، والبعض منهم يقف بصورة طبيعية، وفي نهاية الترابيزة وقف أحد الموظفين نصف وقفة أشبه بالانحناءة وارتسمت على وجهه ابتسامة مائعة خبيثة كما لو كان يقول أنا لا أقف لأحد مهما كان، ويظل يتلفت لزملائه حتى يتأكد أنهم يرونه على هذه الصورة وفهم زملاؤه الرسالة التي يريد أن يوصلها إليهم ولم يكترث الكثيرون بما يفعل؛ فهم يعرفونه جيدا ويدركون أن ما فعله ليس إلا للاستعراض أمامهم فقط ويوقنون أنه لن يجرؤ أن يفعل ذلك لو تيقن أن المدير سيلمحه مجرد لمح..
والكل على يقين أن هذا الشخص هو أوضع الحاضرين جميعا.
يجلس المدير مباشرة على كرسيه الذي ينتظره خاليا ولا يجرؤ أحد أن يجلس عليه على الرغم من أنهم جميعا تراودهم فكرة الجلوس عليه..
البعض منهم تراوده الفكرة من خلال تلميحات البعض له..
والبعض تراوده الفكرة في أحلام اليقظة..
والبعض تراوده الفكرة في أحلام النوم..
والبعض لا يجرؤ أصلا على أن تراوده تلك الأفكار في أي وقت.
وما إن يجلس المدير حتى يجلسوا جميعا ويعم السكون وينتظر الجميع وكأن على رءوسهم الطير..
جميع الحاضرين يعلمون علم اليقين أن كثيرا ممن حضر هذا الاجتماع لن يضيف حضورهم شيئا، بل إن عدم حضورهم كان أفضل بكثير.
والكل يعرف أيضا أن ما يحدث من إجراءات لتسيير المواضيع المطلوبة معروف ومحفوظ، وقد اتُّخذ القرار النهائي حيالها قبل بدء الاجتماع، وعادة ما يكون القرار النهائي قد اتخذه المدير منفردا أو مع بعض المقربين منه.

ويبادر الجميع - كل حسب طريقته - بأن يدلي بدلوه في المواضيع المقترحة، والجميع يعرف أنه لن يُؤخذ بما يقولون، لكن هذه الطريقة الوحيدة ليضفَى على الاجتماع جو اجتماع.

فكثيرون ممن يحضرون مثل هذه الاجتماعات يعرفون أنهم في معية المدير يشعرون بنشوة لا توصف؛ فهذا القرب من المدير نوع من التقرب إلى السلطة بأي درجة كانت، لكن الغريب في الأمر أن الذين يحرصون على حضور مثل هذه الاجتماعات ولا يكون حضورهم ضروريا يُحدثون ضجيجا لا يفعله المعنيون بالأصل في حضور الاجتماع ربما للفت أنظار المدير وليقولوا له: «نحن هنا» جاهزون لأي منصب، فكل منهم في أعماق أعماقه «عبده مشتاق» وإن لم يصرح بذلك.

وأي نظرة مبدئية لهؤلاء المشتاقين نجد من أول وهلة أن النفاق يغلب على أدائهم ويحاول كل منهم بنفاقه أن يتقرب للمدير بمزيد من النفاق.

لكن هناك دائما في مثل هذه الاجتماعات شخصا مميزا جدا ويعرفه الجميع ولا يخلو أي اجتماع منه، وإن اختلف اسمه وموقعه الوظيفي وطريقته في الحديث ما بين الألفاظ الخارجة وما بين خفة دم حقيقية أو مصطنعة، ودائما ما يخلط نفاقه بالفكاهة المبتذلة والقفشات المفتعلة والنكات اللاذعة وهو يضحك ويُضحك المدير ومن في معية المدير.

وهذا الشخص هو ما يمكن أن نطلق عليه «مُهرج المدير» أو هو هكذا فعلا «مُهرج للمدير»، بل دائما ما نجد هذا المُهرج يصطاد أحد الحاضرين الطيبين ويوسعه تريقة مفتعلة حتى يضحك المدير ومن في معية المدير.

وقد يحاول البعض مجاراة هذا المُهرج في أن يحذوا حذوه، لكنهم عادة لا يتفوقون عليه، وقد يحاولون ويحاولون ويحاولون إلا أنهم يفشلون ويأسون.

ومن الأسباب الرئيسية لتفوق هذا المُهرج على من يحاولون مجاراته وتقليده هو تشجيع المدير له، وينتهي الاجتماع ويخرج المدير ويغادر

المجتمعون الغرفة وتبدأ اجتماعات جديدة..
ذات الحجرة وذات الترابيزة وذات الكرسي الفخم وذات الكراسي وهم هم الحاضرون..
وتمر السنوات..
ويبدأ اجتماع جديد..
ذات الحجرة وذات الترابيزة وذات الكرسي الفخم وذات الكراسي وهم هم الحاضرون..
لكن تغير المُدير..
أصبح من يجلس على كرسي المدير من كان في يوم من الأيام «مُهرج المدير».
ولن نسأل كيف ومتى ومن المسئول عن ذلك..
فبعض الأسئلة لا تزيد الأمر إلا غموضا، فقد حدث ما حدث وانتهى الأمر.
وفي أول اجتماع للمدير الجديد - الذي كان مهرجا للمدير القديم - وفور أن جلس على كرسي المُدير وأسند ظهره بظهر كرسيه ليؤكد لنفسه ما هو فيه، تظاهر بمراجعة بعض الأوراق التي وضعها السكرتير أمامه، وبينما هو يقلب في تلك الأوراق راودته بعض الأفكار والهواجس، وبدأت هذه الأفكار والهواجس تغزو رأسه وتحاصره كمن يجلس في حجرة زجاجية مغلقة بإحكام مثبتة بها سماعات عملاقة تكاد - من فرط شدة الصوت الذي يصدر منها - تحطم أعصابه.
وكان يداري إحساسه هذا بتقليب الأوراق التي أمامه تارة والعبث بها تارة أو برسم ابتسامة لا معنى لها على شفتيه أو بالضغط على أسنانه؛ فهو يعرف أن الكل ينظر إليه، فهو قد أصبح نجم الاجتماع بلا منازع وليس هناك نجم غيره وهو يدرك معنى ذلك ويعرف قيمته.
كانت تلك الأفكار والهواجس تذكره بأصله الوضيع ووظيفته السابقة كـ«مُهرج للمُدير»، فحاول أن يتغلب على تلك الأفكار والهواجس، وقد بدأت تتعالى وتتعالى، وتحولت إلى صرخات رهيبة كأنها موجات متتالية

هائجة تكاد تغرقه في براثنها.
وحاول أن يبدو متماسكا فقرر أن يفنِّد تلك الأفكار والهواجس ليرد عليها بكل الطرق المتاحة، فأخذ ينظر إلى جميع من حضر الاجتماع من خلف نظارته الطبية وكأنه يحدثهم:
أدرك أنني مجرد صفر، نعم صفر.. لكن ها هي الفرصة قد جاءت إليَّ ولن أتركها، فكم من أصفار عظمت وعظمت وتغولت..
سأبذل قصارى جهدي لأكون صفرا كبيرا، وستساعدونني أنتم على ذلك رضيتم أم أبيتم، ليس لأنكم تحبونني وتخافون على مصلحتي، لا، لكن لأنكم تحبون أنفسكم وتدافعون عن مصالحكم وتدركون أن بقاءكم مرهون ببقائي ومصالحكم مرتبطة بمصالحي فأنتم تعرفون قواعد اللعبة جيدا أيها الأوغاد.. إذا رحلت فسترحلون وإن بقيت فستبقون واحتياجكم لي يفوق احتياجي لكم.
وعندما وصل إلى هذه النقطة بدأ يشعر بالاطمئنان نوعا ما وبدا عليه الهدوء كأنه انتهى للتو من مرافعة صاخبة أمام هيئة محكمة كان المتهم فيها هو وكانت أدلة الاتهام كلها موثقة بالشهود وكان ماضيه الأسود هو دليل إدانته وهو على يقين أن الشهود وضعاء وأدلة الاتهام موثقة ومنطوق الحكم مكتوب..
وها هو قد أوشك أن يودع مذكرة دفاعه التي أعدها بعناية لهيئة المحكمة..
وعندئذٍ أغمض عينيه ووضع يديه على رأسه كأنه يريد أن يحبس تلك المبررات والأدلة التي ساقها في داخل رأسه لتكون أنيسا له أمام نفسه وأمام من يعرفه، ثم أعاد النظر إليهم مرة أخرى، لكن هذه النظرة كانت مختلفة عن النظرة السابقة فكانت نظرة أكثر ثقة، فهي نظرة معززة بالمبررات والأدلة التي أقنعته وطمأنته، وبدأ يسترجع بذاكرته التاريخ الأسود الوضيع لكل واحد منهم؛ فهو في النهاية منهم وهم منه..
وبدأ البعض منهم يفهم ما يدور..

فبدأ الوضعاء - وما أكثرهم - يدركون حقيقة الواقع الجديد فكانوا يتعمدون أن تتلاقى عيونهم في عينه..

وبدا وهو جالس على كرسي المدير كأنه جالس في قاعة سينما ضخمة، وبدت كل عين من عيون من حوله كأنها شاشة سينما عملاقة يعرض عليها فيلم المرحلة..

فهذا يحاول أن يُقزِّم نفسه ليُرضي غرور سيده الجديد..

وهذا يحاول أن يقول لسيده الجديد بكل الطرق المتاحة أنا تابعك المخلص الوفي الوحيد.

وهذا يحاول أن يتلاشى النظرة تلو النظرة من السيد الجديد، فهو لم يكوّن بعدُ السيناريو المناسب للمرحلة الجديدة..

لكن من المؤكد أن جميع الحاضرين على يقين أن عليهم أن ينتهوا من وضع سيناريو الفيلم المناسب للمرحلة، فإن لم يشاهد سيدهم الجديد فيلمهم في أعينهم في هذا العرض فهناك عروض أخرى قادمة، وهم يعرفون أن من غير مصلحتهم أن يتأخر عرض الفيلم أكثر من ذلك.. فمدة العرض محدودة، وقد يطيح هذا بمستقبلهم ويخرجهم من سباق أفلام المرحلة..

وحتما سيجد سيدهم الجديد رعايا جددا جاهزين طوال الوقت بأفلامهم المعدة سابقا التي تصلح لكل المراحل وكل العصور، وما عليهم إلا أن يغيروا بعض الرتوش وبعض الأسماء وبعض التفاصيل وستظل الديكورات كما هي من دون تغيير.. ففي مثل هذه النوعية من الأفلام يتلون الممثلون ولا تتغير الديكورات؛ ففي أحيان كثيرة يكون من السهل تغيير الإنسان ومن الصعب تغيير المكان.

فتلوين الممثل لا يكلفه إلا بعض الجهد الذي اعتاد عليه من كثرة ما مارس هوايته في مهنة التمثيل، أما تغيير الديكور والأماكن فيحتاج إلى كثير من الكلفة، فما أرخص الإنسان في مثل هذه الأوقات..

وفي تلك اللحظات كان بعض الحاضرين قد جالت برءوسهم بعض الأفكار

وكأن لسان حالهم يقول: هذا الشخص الخطأ في المكان الخطأ.
ومأساة حينما يمثل القرد دور الحكيم، والمأساة الكبرى أن يترأس القرد مجلس الحكماء.. فهذا أسد بقوته وهذا فيل بحكمته وهذا ثعلب بدهائه وهذا ذئب بشراسته وذاك فأر بوضاعته..
وقد لا يجد القرد بُدًّا من أن يستبدل بهم جميعا فئرانا حتى يستطيع أن يسيطر عليهم، أو يحدث كما يحدث دائما في مثل هذه المجتمعات الوضيعة والعفنة، أن يرتضي كل من يخاف على مصالحه من بطش السيد الجديد فيتحول مثل الحرباء إلى الشكل واللون والسلوك التي تُرضي عنه السيد الجديد.. فما أسهل على الوضيع أن يرقص للقرد في دولته.
فيصبحون كالمدعوين لحفلة تنكرية، وحينما نراهم من أول وهلة نتوهم أنهم يتحلون بالثياب والمظهر والهيئة التي ارتأوا أنها مناسبة لهم، لكن في حقيقة الأمر إنهم يكونون مجبرين على فعل ذلك وإن تظاهروا بغير ذلك..
وسرعان ما يعود المدير ومن معه من رحلة التفكير وحديث النفس إلى أرض الواقع ليستكملوا مع بعضهم البعض تمثيل المسرحية التي يعرف كل منهم دوره فيها جيدا، لكن المدير الجديد يشغله في تلك اللحظة شيء جلل ومهم وحيوي بالنسبة له؛ فهو يبحث بين الحاضرين عن شخص ينتظره ويتلهف إلى رؤيته وسماع صوته..
وفي أثناء ذلك كان من بين الحاضرين من فطن إلى أهمية ومكانة الدور الذي ينتظره، ويا له من دور، ويا لها من مكانة..
وأخذ يستجمع قواه ويستدعي بذاكرته تفاصيل ما كان يفعله من سبقوه في تمثيل هذا الدور وكان آخرهم «المُدير الجديد».. فتعمد أن تتلاقى عينه وعين المدير الجديد وعندما تأكد من حدوث ذلك نظر إلى سيده الجديد نظرة لها مغزاها، ففهم المُدير الجديد والمهرج السابق ما ترمي إليه هذه النظرة بخبرته السابقة كمُهرج للمدير، فتلقف هذا الموظف أو بمعنى أدق «مشروع مهرج المدير» تلك النظرة وعزم في قرارة نفسه ألا يُفوت هذه

الفرصة الذهبية، فبدأ يمهد لتقديم مسوغات تعيينه ليشغل وظيفة «مُهرج للمدير»، وفكر في الطريقة المثلى لتقديم تلك المسوغات، وكانت البداية أن يقوم باصطياد أحد الحاضرين كفريسة سهلة لتكون قربانا لسيده الجديد.. وبعد فترة قليلة من التفكير ومراجعة سريعة للتاريخ الذي يعرفه عن جميع الحاضرين وجد أن أحدهم هو الشخص المناسب تماما ليستعرض عليه قدراته كـ«مُهرج للمدير».

ومن دون أي مقدمات قام بإلقاء بضعة تعليقات بسيطة ممزوجة بالسخرية اللاذعة على تلك الفريسة التي اكتفت بالصمت، بل من الأفضل أن نقول إنها لم تكتفِ بالصمت لضعفها بل في حقيقة الأمر قد وافقت في قرارة نفسها أن تقوم بدور فريسة مُهرج المدير؛ فالقيام بدور وضيع في مسرحية هزلية خير ألف مرة من ألا يجد له دورا في مثل تلك المسرحية، خصوصا أن عددَ مَن يتوق إلى لعب مثل هذه الأدوار الوضيعة ليس بالعدد الهين، بل إن البعض لا يتورع أن يلعب أدوارا أكثر وضاعة بكثير من هذا الدور.

وها قد أوشكت قواعد اللعبة على الانتهاء، فهذا صائد وجد فريسته والفريسة استسلمت بإرادتها للصائد..

بقي أن يوافق السيد على اكتمال تلك اللعبة.

ولم يبخل السيد بالموافقة.

فكانت إشارة الموافقة عبارة عن ابتسامة باهتة صفراء.

فتلقف «مشروع مُهرج المُدير» هذه الابتسامة الباهتة الصفراء بتلك الحماسة التي يتلقف بها موظف مسكين مكافأة كبيرة لم يكن يتوقعها..

فصمم في قرارة نفسه على عدم تفويت تلك الفرصة الذهبية، فشرع بتوجيه وابل من التعليقات الساخرة على بعض الحاضرين من دون تمييز، فرد عليه المُدير بابتسامة عريضة لها مغزاها.. وكانت مساحة هذه الابتسامة العريضة على وجه المُدير هي نفس مساحة الباب الذي قرر مشروع مُهرج المدير أن يدخل منه رسميا لينال شرف القيام بدور «مُهرج المدير».

عندئذٍ أطلق «مشروع مُهرج المدير» سيلا من النكات الفجة البذيئة.. كان وهو يفعل ذلك كمن يطلق دفعات متتالية من طلقات الرصاص مخافة أن يوقفه أحد، أو مثله مثل الطبيب ضعيف المستوى الذي يكدس روشتة العلاج للمريض بمنطق إن لم يصح هذا الدواء فسيصح دواء آخر.

وقد فعل ذلك بجرأة تعجب منها كل الحاضرين، عدا المُدير ومن كان يشغل وظيفة «مُهرج المدير»، فقد بدت على وجهه علامات الارتياح.. وعندئذٍ فهم «المُدير» بخبرته كمهرج سابق المغزى من ذلك.

فهو بنفسه قد جرَّب جميع هذه الطرق والحيل الوضيعة ويعرف ترتيب خطواتها جيدا..

فالمدير الجديد والمهرج الجديد ينتظران بعضهما البعض..

فهذا يريد أن يُكمل بطانته وذاك يريد أن يكون تابعا لبطانته..

فكلاهما يعرف ما يريد..

فكلاهما وجهان لمأساة واحدة..

وجه يمثل السلطة الفاسدة والوجه الآخر يبرر لتلك السلطة ما تفعله..

وفي النهاية المحصلة صفر..

في تلك اللحظة أطلق المدير ضحكة مقززة مجلجلة مبالغا فيها..

وعلى الفور أطلق جميع الحاضرين من دون استثناء ضحكات متفاوتة ما بين فحيح الأفاعي ونبح الكلاب..

فكانت تلك الضحكات الشيطانية هي القرار غير المكتوب الذي ينتظره «مشروع مُهرج المدير» لينال اللقب الرسمي باسم «مُهرج المدير».

العفريت لا يزال في بيتي

ولدي نصحتك لما صوتي اتنبح
ما تخافش من جني ولا من شبَح
وإن هبّ فيك عفريت قتيل اسأله
ما دافعش ليه عن نفسه يوم ما اندبح
وعجبي

(صلاح جاهين)

ربما يكون الحديث عن العفاريت له طابع خاص، لعدة أسباب، منها أن هذا الموضوع يحمل في جميع جوانبه الإثارة لمن يسمعه ولمن يقوله.
وأن عالم العفاريت به مزيج من الغموض والإثارة والتشويق والخرافة، والإنسان بطبيعته دائما ما يميل إلى كل ما هو غامض ومثير.
ولتسمح لي عزيزي القارئ أن أروي لك القصة التالية، وهي قصة حقيقية حدثت لي بالفعل..
كنت في يوم من الأيام أتحدث مع أحد معارفي في قريتنا وجاءت سيرة العفاريت وكان الحوار التالي:

قال لي الرجل:

- هل رأيت عفريتا في يوم من الأيام ؟

فأجبته:

- لا، لم أرَ في حياتي أي عفريت

وظهرت علامات الدهشة والاستغراب على وجه الرجل، وقال ساخرا:

- ألم ترَ أي عفريت طيلة حياتك ؟ هل أنت متأكد؟

فأجبته:

- هل أصبح ألا أرى عفريتا أمرا يدعو للدهشة هذه الأيام ؟ نعم ، لم أرَى في حياتي أي عفريت على الإطلاق.

فتعجب الرجل وضرب كفا بكف وهو في غاية الاستغراب والدهشة، وقال: غريب أمرك يا هذا، فأنت أول إنسان أقابله في حياتي كلها لم يسبق له أن رأى عفريتا في يوم من الأيام.

ثم عاود الرجل ووجه لي نفس السؤال وأجبته نفس الإجابة والرجل في غاية الدهشة والعجب من أمري.

في تلك اللحظة شعرت في داخلي بمنتهى الخجل؛ إذ كيف لي بعد هذا العمر أن لا أقابل عفريتا واحدا ولو بالصدفة .. ؟!

في تلك اللحظة استحوذت عليَّ فكرة وقلت في نفسي :

- ها قد جاءت الفرصة المناسبة لأرى عفريتا.. فمن الواضح جدا أن الرجل يقابل كل يوم عفريت، بل ربما يكون له أيضا أصدقاء وشلة من العفاريت..

فباغته بسؤالا محددا وأنا على يقين من الإجابة:

- إذن أري أنك رأيت عفريتا

لم أكن أتوقع إجابته فحسب بل كنت علي يقين أن هذا الرجل سوف يخرج لي عفريتا من بين طيات ملابسه، أو يحضر لي عفريتا صغيرا من داخل

حافظة نقوده إلى أن تحين الفرصة المناسبة ليرتب لي لقاء مع عفريت كبير مع مجموعة من العفاريت أصدقائه، لكن كانت إجابة الرجل مفاجأة كبيرة لي؛ إذ قال الرجل بمجرد سماعه سؤالي:

لا ، لم أرَ أي عفريت طيلة حياتي.

فبُهت واستغربت من إجابة الرجل، فقد تصورت من حديث الرجل معي عن العفاريت بهذه الطريقة أنه سيعرفني على أصدقائه العفاريت.

انتهى لقائي بالرجل وأنا أستغرب من منطق الرجل.

وما دمنا نتحدث عن العفاريت فاسمح لي عزيزي القارئ أن أروي لك الطرفة التالية التي سمعتها عن العفاريت لعلك تشاركني الضحك؛ ..

الطرفة تقول:

إن رجلا ثريا كان يسير بسيارته الفارهة وباهظة الثمن بطريق ما، وكان هذا الطريق لا تسير عليه السيارات كثيرا، وعندما وصل إلى مكان ما بالطريق وجد شخصا يقف بجوار سيارة متواضعة ورخيصة الثمن وكان هذا الرجل يتناول فنجانا من القهوة الساخنة وهو مُسترخٍ تماما وكان بوقفته تلك يسد الطريق بعض الشيء، فاضطر الرجل الثري أن يهدئ من سرعة سيارته الفارهة حتى يستطيع أن يعبر الطريق، وكان قد لمح الرجل ذا السيارة المتواضعة وفي يده فنجان القهوة الساخنة، فسأله: لماذا تقف في وسط الطريق هكذا ؟ ومن أين أتيت بهذه القهوة الساخنة ؟

فأجابه الرجل صاحب السيارة المتواضعة:

- تفضل لتتناول معي القهوة الساخنة.

فتعجب الرجل صاحب السيارة الفارهة من كلام الرجل وأعاد السؤال للرجل مرة أخرى وقال له:

من أين أتيت بالقهوة الساخنة ؟ وكيف ستحضر لي القهوة الساخنة والمكان لا تتوافر به أي أماكن مخصصة لبيع القهوة ؟

فأجابه الرجل صاحب السيارة المتواضعة:

- إن في سيارتي عفريتا يستجيب لكل طلباتي.

فذُهل الرجل صاحب السيارة الفارهة من كلام الرجل.

فقال الرجل صاحب السيارة المتواضعة:

- أعرف أنك لا تصدقني، سأثبت لك صحة كلامي.

ولكن قل لي أولا ماذا تحب أن تتناول فنجان من القهوة الساخنة أم كوب من الشاي الساخن ؟

فقال له الرجل صاحب السيارة الفارهة:

- ليكن فنجانا من القهوة الساخنة.

فقام الرجل صاحب السيارة المتواضعة بالنقر على سيارته المتواضعة وقال:

- يا عفريت أحضر فنجانا من القهوة الساخنة.

فإذا بفنجان من القهوة الساخنة أمامهما .. تلقفه الرجل الثري وتناوله وهو مندهش مما حدث .

فقال الرجل صاحب السيارة المتواضعة:

- سأحضر لك كوبا من الشاي الساخن.

وقام بالنقر على سيارته وقال:

- يا عفريت أحضر كوبا من الشاي الساخن.

وتناول الرجل الثري كوب الشاي وهو في غاية الذهول مما يحدث..

وهنا قال الرجل صاحب السيارة المتواضعة:

- لقد سئمت من تلك السيارة وهذا العفريت، وأريد أن أتخلص منهما فأنا أصبحت غير محتاج إليهما، فقد حققت كل ما أريد.

فانتهز الرجل صاحب السيارة الفارهة هذه الفرصة وقال أنا أشتري منك هذه السيارة المتواضعة وبها العفريت.

قال الرجل صاحب السيارة المتواضعة:

- وما المقابل الذي ستمنحني إياه مقابل تلك الصفقة؟

فقال له الرجل صاحب السيارة الفارهة:

- تأخذ سيارتي الفارهة ومبلغا كبيرا من المال..

وبعد حديث طويل ومفاوضات كثيرة وافق الرجل صاحب السيارة المتواضعة على الصفقة وهو على مضض، مع تأكيده أنه لم يفعل ذلك بتركه هذه السيارة وبها العفريت - وهي كنز كبير بكل المقاييس - إلا بعد أن حصل على كل ما يريد وأن من واجبه أن يمنح الفرصة لشخص آخر وأن تركه للسيارة المتواضعة وبها العفريت ما هو إلا عهد قطعه على نفسه وأعطاه لمن ترك له هذه السيارة وبها العفريت في يوم من الأيام، وكان العهد هو أنه في حالة أن يصبح غنيا جدا ويشعر بداخله أنه قد حقق كل ما يريد أن يعطي السيارة وبها العفريت لشخص آخر، وفي حالة عدم تنفيذ ذلك العهد سينقلب العفريت عليه ويخسر كل ما عنده من مال.

وتمت الصفقة بعد أن أخذ منه العهد المتعارف عليه الذي سبق أن قاله له.

ومضى الرجلان كل في حال سبيله.

ووقف الرجل الثري بعد أن حصل على السيارة المتواضعة وبها العفريت وهو مزهو بفوزه بتلك الصفقة الكبيرة، وأخذ يحلم ويحلم ويحلم بما سوف يحققه بمعاونة العفريت، وكان قد قرر بينه وبين نفسه أنه بمجرد حصوله على مبلغ مائة مليار دولار سيكتفي بهذا المبلغ المتواضع وسيكون قنوعا وعندئذٍ سيترك السيارة لشخص آخر كما هو العهد دائما الذي أعطاه للمالك السابق للسيارة والعفريت.

ثم جلس يفكر ويفكر..

ما مقدار أول دفعة من المال سوف يطلبها من العفريت؟

لكنه قرر في بداية الأمر أن يتناول كوبا من الشاي الساخن.

وقام بالنقر على السيارة وقال:

- يا عفريت أحضر كوبا من الشاي الساخن.

وأحضر له العفريت كوبا من الشاي الساخن وتناوله وهو في منتهى السعادة..

وأراد أن يتناول فنجانا من القهوة الساخنة.
وقام بالنقر على السيارة وقال:
- يا عفريت أحضر فنجانا من القهوة الساخنة.
وأحضر له العفريت فنجانا من القهوة الساخنة وتناوله وهو في منتهى السعادة.
وهنا قرر ألا يكون طماعا في أول طلب سيطلبه من العفريت وقرر أن يطلب من العفريت مبلغا متواضعا كدفعة أولى عبارة عن عشرة ملايين دولار، وقام بالنقر على السيارة وقال:
- يا عفريت أحضر مبلغ عشرة ملايين دولار في الحال.
فأجابه العفريت على الفور:
- يا سيدي أنا لا أجيد عمل أي شيء سوى إعداد القهوة والشاي.
ولن أخبرك عزيزي القارئ بما حدث للرجل من هول تلك المفاجأة..
سأدعك أنت وحدك لكي تتخيل ما حدث للرجل.
وما دمنا نتحدث عن العفاريت لا بد أن نذكر أبيات الرائع صلاح جاهين في الرباعيات حينما قال:
ولدي نصحتك لما صوتي اتنبح
ما تخافش من جني ولا من شبَح
وإن هبّ فيك عفريت قتيل اسأله
ما دافعش ليه عن نفسه يوم ما اندبح
وعجبي
المهم عزيزي القارئ بعد كل هذه المقدمة الطويلة وربما الطريفة ألم يخطر ببالك في يوم من الأيام أن تقابل عفريتا؟
أنا قد فكرت في هذا الأمر وعزمت أن أقابل عفريتا ولو مرة واحدة في حياتي حتى أجنب نفسي الحرج كما في المرة السابقة وأظهر أمام الناس أنني لم أقابل عفريتا من قبل.

المهم.. كنت قد عثرت على كتاب قديم من تلك الكتب التي من الممكن من خلالها تحضير العفاريت، والكتاب مقسم إلى فصول كثيرة ويتكلم عن أشياء غيبية كثيرة، وبحثت عن الباب الذي من خلاله أستطيع أن أعرف كيف يمكنني تحضير عفريت.

على الفور قرأت ما في هذا الباب وأحضرت كل الأشياء المطلوبة المدونة في هذا الفصل، التي تباع عند العطار وجلست في حجرتي في ضوء خافت ونفذت جميع الخطوات وقرأت جميع التعاويذ طبقا للطقوس المدونة بالكتاب..

وفجأة في وسط الحجرة ظهر العفريت..

ظهر كما تخيلته تماما وكما نتخيله نحن جميعا

وقال لي نفس الجملة الشهيرة التي نعرفها جميعا بصوت قوي تردد صداه في أركان الغرفة :

شبيك لبيك.. تطلب إيه ؟

وكنت قد استعددت جيدا لهذه المقابلة المهمة وكتبت جميع طلباتي في ورقه ورتبتها وفق أولوياتها حتى لا أنسى أي شيء، فربما لا يظهر لي العفريت مرة أخرى..

ولكن العفريت فاجأني، وقال لي:

- عجبا لك أيها الإنسان ! ما لي أراك تجلس هادئا ولا تخاف مني عندما ظهرت لك؟

فأجبته:

- لو كنت أخاف منك لم أكن أسعى لمقابلتك

فقال العفريت:

- عشيرتي وأصدقائي من العفاريت يؤكدون لي دوما أنهم بمجرد ظهورهم لأي إنسان يفزع ويخاف منهم.

فأجبته:

- إن الأمر مختلف معي، فأنا من سعيت للقائك، وأنا - كما ترى - استعددت لهذا اللقاء جيدا، وكما تراني أجلس بمنتهى الهدوء والاسترخاء ومعي كشف بالطلبات التي سوف أطلبها منك وأنت سوف تحقق لي هذه الطلبات.. هيا حققها لي على الفور.

قال العفريت:

- أرى أيضا أنك على يقين من أنني سوف أحقق لك كل ما تتمنى.

فأجبته:

- هكذا قرأت عن عالم العفاريت.

قال العفريت:

- أنت بذلك أيها الإنسي لا تلتزم بالقاعدة التي على أساسها يتعارف الإنس والعفاريت.

فأجبته:

- أي قاعدة ؟

قال العفريت:

- أقصد بالقاعدة ذلك السيناريو الطبيعي لسير الأحداث عندما يتقابل إنسان مع عفريت لأول مرة.

فأجبته:

- وماذا يكون هذا السيناريو؟

قال العفريت:

- أن تحضرني وفق طقوس معينة كما فعلت، وعندما أظهر لك كما ظهرت ترتعد وتخاف مني، فهذا هو السيناريو المتعارف عليه، والرعب والخوف اللذان يظهران على الإنسان عندما يرانا نحن عالم العفاريت في أول لقاء يُعتبران من ضمن طقوس مقابلة العفاريت بالإنسان، وهذا شيء أساسي بل وطبيعي لاكتمال تفاصيل تلك الطقوس.

فأجبته:

- لكني لا أخاف منك، فأنا مَن سعيت إلى لقائك، فكيف أسعى بإرادتي إلى هذا اللقاء ثم أخاف منك؟ هذا ضد المنطق.

قال العفريت:

- أيها الإنسان، لا تضيع وقتي، فكما قلت لك تلك طقوس وقواعد لا بد من الالتزام بها، فأنتم كما لكم طقوس لتحضير العفاريت نحن أيضا لنا طقوس لا بد أن تُتّبع لنحقق للإنسان كل ما يتمنى، ومن غير ذلك من المستحيل أن أستطيع أن أحقق لك أمنياتك.

فأجبته:

- كيف هذا؟

قال العفريت:

- أنا قلت ما عندي.

فأجبته:

- لكني لا أشعر بأي خوف منك على الإطلاق.

قال العفريت:

- خطرت لي فكرة.

حاول أن تتخيلني في صورة مخلوق تخاف منه وترتعد منه.

فأجبته:

- فكرة جيدة.. سأحاول.

وجلست أستجمع تركيزي حتى أتخيل العفريت في صورة مخلوق أخاف منه، ثم رسمتُ على وجهي كل علامات الفزع والخوف والهلع المتعارف عليها، وقلت للعفريت:

- هكذا أتشعر أنني أخاف منك؟

قال العفريت:

- كلا، فأنا قبل أن أرى علامات الخوف المرسومة على وجهك وهي في الأساس علامات مفتعلة، فأنا أمتلك حاسة تمكنني من التعرف على

حقيقة شعورك وهل أنت تخاف مني فعلا أم أنك تتظاهر بذلك.

فأجبته:

- وماذا وجدت؟

قال العفريت:

- حاستي تقول إنك لا تخاف مني على الإطلاق، بل على العكس كل حواسي تؤكد لي أنك مطمئن وهادئ كل الهدوء.

فأجبته:

- فعلا أنت صادق فيما تقول، أنا لا أخاف منك على الإطلاق.

قال العفريت:

- سأحاول أن أفعل أشياء حتى تخاف مني..

سأحاول أن أختبئ تحت السرير ثم أظهر لك فجأة.

وفعل العفريت ما قال واختبأ تحت السرير ثم ظهر لي فجأة.

وعند ظهوره حاولت بكل جهدي أن أبدو خائفا وجعلت جسدي يهتز كأنه يرتعش من شدة الخوف

ثم سألته:

- ما رأيك؟

قال العفريت:

- حاستي تؤكد لي أنك ما زلت لا تخاف مني ، إنك تفتعل ذلك الخوف.

فأجبته:

- لا أدري ماذا أفعل.

قال العفريت:

- لنحاول مجدداً سأصعد أعلى الدولاب وأقفز.. حاول عندما أقفز أن تخاف مني، لكن في هذه المرة حاول أن يكون خوفك خوفا حقيقيا لا افتعال خوف.

فأجبته:

- عظيم .. سأحاول هذه المرة .

وفعل العفريت ما قال وصعد أعلى الدولاب وقفز فجأة.. وكانت نفس النتيجة السابقة.

حاولت بكل جهدي أن أبدو خائفا، وجعلت جسدي يهتز كأنه يرتعش من شدة الخوف..

وظل العفريت يقدم الاقتراحات تلو الاقتراحات وينفذها حتى أخاف منه، ولكن لم أخاف منه.

فقال العفريت:

- أيها الإنسان الطيب، حقا أنا أريد أن أساعدك وأحقق لك كل أمنياتك وطلباتك، لكن في كل الأحوال لا بد أن تخاف مني، فكما قلت لك سابقا إن الخوف ضروري كي تكتمل الطقوس المطلوبة حتى أستطيع أن أنفذ لك كل ما تطلب.

فأجبته:

- بعد ما فعتله من أجلي قد أحببتك لأنك عفريت طيب وتريد مساعدتي.

قال العفريت:

- لا أدري ماذا أفعل معك.. لقد حاولت كل المحاولات معك لكي أتمكن من مساعدتك.

فأجبته:

- وأنا لا أدري ماذا أفعل.. لقد حاولت أن أخاف منك، لكنني قد فشلت أن أخاف منك.

قال العفريت:

- إذًا لا تضيع وقتي معك اصرفني حتى أذهب لإنسان آخر قد يكون محتاجا إليَّ كي أساعده.

فأجبته:

- عموما، أنا أعتذر لك عن إضاعة وقتك الثمين، فأنت قد فعلت ما عليك، لكني لم أنجح في الاستفادة منك، وأنا قد خسرت تلك الفرصة التي أتيحت لي، والتي بالتأكيد لن تتكرر، لكني سعيد جدا بتعرفي عليك.

قال العفريت:

- وأنا سعيد أن قابلت إنسانا طيبا مثلك، من فضلك اصرفني.

فأجبته: تفضل بالانصراف.

قلت له هذه الجملة وأنا أجلس في ركن من أركان الغرفة مطأطئ الرأس في منتهى الخجل من نفسي ونادم أشد الندم على إهدار تلك الفرصة الثمينة التي لن تعوض، وكنت أنظر إلى الأرض مغمض العينين حتى لا أرى العفريت ينصرف من أمامي حتى لا تزداد حسرتي على خسارتي الكبيرة؛ لأنه بذهاب العفريت تكون قد ذهبت معه فرصة العمر مني..

وبعد مرور عدة دقائق وبعد أن ظننت أن العفريت قد غادر الغرفة وانصرف وتركني، قررت أن أقوم من مكاني حتى أواصل حياتي العادية..

وعندما هممت بالنهوض وفتحت عيني وجدت العفريت ما زال واقفا أمامي في مكانه لم يغادره..

فقلت له:

- لقد قلت لك انصرف لماذا لم تنصرف؟

قال العفريت:

- كيف أنصرف من دون أن تفعل طقوس الانصراف؟

فأجبته:

- وماذا تكون هذه الطقوس هي الأخري ؟

قال العفريت: عندما تصرفني لا بد أن تقوم بتنفيذ طقوس معينة للانصراف وهي أيضا لها خطوات وتعاويذ معينة ومحددة.

فأجبته:

- آه فهمت، معك حق.

قال العفريت:

- إذًا افعلها حتى أستطيع الانصراف.

فأجبته:

- نعم نعم سأفعلها.. وأنا أعتذر لك مرة أخرى على إضاعتي وقتك الثمين.

ورحت أبحث في أرجاء الغرفة عن الكتاب القديم الذي من خلاله عرفت طقوس تحضير العفريت ووجدت الكتاب، وظللت أبحث في الكتاب عن باب صرف العفريت وبكل أسف لم أجد أثرا لهذا الباب فقد وجدت أجزاء من الكتاب مفقودة ومن ضمن الأجزاء المفقودة الفصل الخاص بكيفية صرف العفريت.

ومن يومها بقي العفريت معي ويلازمني في حياتي وفي بيتي لا أستطيع أن أصرفه ولا أستطيع أن أطلب منه أي طلبات أو أمنيات لأنني لا أخاف منه. ومن يومها والعفريت لا يزال في بيتي.

رجل هزمته الحياة

ويلٌ لماء النهر حين يجيء منكسرا
وفي فزع يهادن

(فاروق جويدة)

هي أسرة بسيطة من تلك الأسر الكثيرة التي تنتمي إلى الطبقة المتوسطة، حيث الأب يهب حياته كلها لأولاده، والأم أيضا تهب حياتها كلها لأولادها، وكل بطريقته الخاصة.

الأب يعمل في عملين مختلفين، أحدهما عمل حكومي صباحا والعمل الآخر بالفترة المسائية في أحد محال بيع الملابس لتوفير حياة كريمة لأسرته، ويحرص كل الحرص ألا يُشعر أيًّا من أبنائه الخمسة بما يعانيه.

وعلى الرغم من أن الأم لم تتلقَّ أي تعليم بالمدارس فإنها تصلح أن تكون معلمة في إدارة الحياة المنزلية، وهي الوحيدة التي تعلم مدى ما يعانيه زوجها ووالد أبنائها من إجهاد ومشقة لتوفير حياة كريمة لأبنائها.

كان أحد أبناء هذه الأسرة قد تخرج في كلية التجارة، وها هو يريد أن يبدأ حياته العملية.

وكان هذا الابن في مراحل دراسته المختلفة، خاصة المرحلة الجامعية، دائما ما تراه يوزع ابتساماته الهادئة والواثقة مع بعض باقات الأمل على كل مَن حوله.

وعلى الرغم من أنه من أسرة بسيطة، لكن ما إن تقع عيناك عليه إلا وتجده مهندمًا في ملابسه على الرغم من بساطتها..

تراه ممشوق القوام يشع من عينيه وميض من الثقة والاعتزاز بالنفس.

والعيون دائما هي المؤشر الحقيقي لأي إنسان؛ فالعيون يا عزيزي لا تكذب أبدا.. قد تتجمل في بعض الأحيان لكن سرعان ما تظهر الحقيقة جلية بها.

لكن من نظرة فاحصة لشخص ناضج يستطيع أن يقرأ ما في العيون بكل سهولة ويسر ما تحاول أعضاء الجسم الأخرى إخفاءه.

فالعيون يا عزيزي فاضحة.

كان يتعجل دوران عجلة الزمن لتمر السنوات ليحقق كل ما يتمنى وقد كانت أمنياته تشبه دائرة تتسع شيئا فشيئا، وكلما دارت عجلة الزمن أصبحت دائرة أمنياته بحجم دنياه وبعمق حياته وبلون أحلامه.

ومر الزمن كما يمر دائما.

وظن صاحبنا أنه فعل ما يجب أن يفعله، فكان قد أتم دراسته الجامعية والتحق بعمل في إحدى شركات المقاولات كمراقب حسابات وتزوج من إحدى قريباته ورزقه الله بولد وبنت.

كان يجتهد في عمله.

ومرت عدة سنوات والحال كما هو، لم يتغير شيء.

كان أكثر ما يدهشه هو تلك النظرات التي كان يراها في عيون من حوله، خاصة من كانوا يكبرونه في العمر والخبرة.

نظرات لم يفهمها أبدا، كانوا هم فقط يعرفون مغزى تلك النظرات، هي نظرات بها خليط عجيب من الإشفاق والتمني.

إشفاق عليه مما عرفوه وخبروه من أفعال الزمن وأمنياتهم له ألا يكون

مثلهم وأن يكون حظه في الدنيا أفضل من حظهم معها.
وكان هو لا يمل من الدهشة لنظراتهم إليه؛ حيث كان دائم الحديث عن المستقبل.
وكانوا هم لا يملون من الشفقة عليه لعدم اكتشافه حقيقة ما يعرفون.
كان كطائر جميل قوي له أجنحة يحلم أن يستخدمها في يوم من الأيام ليُحلق في السماء ويجوب الدنيا، كل الدنيا.
ومرت عدة سنوات أخرى والحال كما هو.
لكن حدثت بعض المتغيرات العادية في حياته مع مرور تلك السنوات، فقد كبر أكبر أولاده فأصبح في الجامعة وكبرت ابنته فأصبحت في الثانوية العامة وكان قد رُزق بولد ثالث قد وصل إلى المرحلة الابتدائية.
كان في الماضي حريصا كل الحرص أن ينظر في المرآة ليهندم ملابسه ويهيئ مظهره العام.. وبعد مرور تلك السنوات كان ينسى أو يتناسى أو إن شئت الدقة كان قد شُغل بأشياء أخرى عن النظر للمرآة.
وفي أحد الأيام وكان قد وصل إلى سن الخمسين من العمر تذكر أنه منذ فترة كبيرة لم يعد ينظر في المرآة.
فوقف أمام المرآة، وهي نفس المرآة التي طالما وقف أمامها ليهندم ملابسه وليتهيأ للخروج.
هي هي نفس المرآة وهو نفسه هو هو، لكن شيئا ما قد تغير، لم يعد يرى تلك الابتسامة الهادئة الواثقة التي كانت تغمر وجهه، ولم يعد يجد أثرا لوميض الثقة والاعتزاز بالنفس الذي كان يشع من عينيه.
ببساطة لم يعد هو هو، كان من يراه في المرآة في هذه المرة إنسانا آخر غيره لا يعرفه ويختلف عنه كل الاختلاف.
ربما يكون له نفس الاسم ونفس تاريخ الميلاد ونفس العنوان ونفس الزوجة ونفس الأبناء، لكن هو ليس هو، أشياء ما قد تغيرت أو بمعنى أكثر تحديدا هو نفسه لم يعد هو.

أخذ يبحث في المرآة عن آخر ما يميزه، أخذ يبحث عن أجنحته لعله يرى تلك الأجنحة التي طالما شاهدها تزين جسده كلما نظر في المرآة فلم يجدها.
أخيرا تذكر أن أجنحته قد تحطمت كلها على مراحل ولم يعد منها شيء.
تحطم أول جزء من أجنحته عندما تقدم لخطبة فتاة كان يحبها ورفض أهلها مجرد أن يزورهم في منزلهم لعدم توافر إمكانات الزواج لديه، وكان هذا هو السبب المعلن، أما السبب الحقيقي الذي عرفه فيما بعد فهو ذلك الفارق المادي والطبقي بين أسرته وأسرتها.. يومها لم يكن يعرف أن الحب وحده ليس هو من نحتكم إليه فقط في أمر الزواج ولم يكن يعرف أيضا أن الإنسان لا يتزوج من يحب لمجرد أنه يحب، بل هناك أشياء أخرى كان يجهلها، منها، بل وأهمها: الفوارق المادية والطبقية والاجتماعية.
لا يزال يتذكر تلك الليلة العصيبة يوم زفاف من كان يحبها.. لقد أخذ قلبه ينبض بين جوانحه وكان مع كل نبضة من نبضات قلبه يتساقط معها جزء من أجنحته.
تحطم جزء آخر من أجنحته عندما لم يحصل على الوظيفة التي كان يحلم بها وأخذها أحد الشباب المتقدمين لتلك الوظيفة التي كانت أهم مؤهلاته وجود كارت توصية مرفق مع مستندات التقديم لتلك الوظيفة.
يومها بعدما أبلغوه باستبعاده من تلك الوظيفة التي كان يحلم بها انزوى بعيدا بعيدا عن الناس وأخذ يضرب بكلتا يديه على الحائط.. ساعتها كان يشعر أن كل ضربة يضرب بها على الحائط يتساقط معها جزء من أجنحته.
تحطم جزء آخر من أجنحته عندما تذكر يوم أن طلب منه ابنه الأكبر ثمن بعض الدروس الخصوصية ولم يكن معه مال فاضطر أن يطلب بعض المال من بعض أصدقائه على سبيل السلف وكان العرق بتصبب من كل جسده وهو يطلب ذلك المال.. ساعتها كان يشعر أن كل قطرة عرق تسقط من جسده يتساقط معها جزء من أجنحته.
تحطم جزء آخر من أجنحته عندما مرض ولده الصغير في ليلة شتوية مظلمة

فلم يجد ثمن الدواء.. حينها وحينها فقط انسابت دموعه على خده لأول مرة في حياته وغمر كيانه شعور بالقهر والعجز.. ساعتها كان يشعر أن كل دمعة تسقط من عينيه يتساقط معها جزء من أجنحته.

وأخذ يتذكر ويتذكر ويتذكر حتى فطن أن أجنحته قد سقطت منه تباعا مع دوران عجلة الزمن التي كان يتعجل دورانها في يوم من الأيام، وفطن أنه كان يرى بنفسه مشهد سقوط أجنحته أمام عينيه، لكنه لم يكن يصدق أنها تسقط إلا حينما أخبرته المرآة.

فالمرآة في أحيان كثيرة قد تخبئ ما لا نريد أن نراه بشرط أن نكون نحن لا نريد أن نرى ما تخبئه المرآة، لكن في هذه المرة كان كلاهما - هو والمرآة - قد فطنا إلى أن الحقيقة أكبر من أن توارى بأي طريقة كانت.

وفي أحد الأيام دخل عليه شاب في مقتبل عمره ليتسلم عمله الجديد في الشركة التي يعمل بها.

لمح في عيني ذلك الشاب نفس وميض الثقة والاعتزاز بالنفس الذي كان لا يفارق عينيه في يوم من الأيام ونفس الابتسامة الصافية التي كانت تلازمه وروح الأمل التي كان يملكها عندما كان في نفس عمر هذا الشاب، وشعر أن جسد هذا الشاب تزينه أجنحة كتلك الأجنحة التي كانت تزين جسده في يوم من الأيام.

فضبط نفسه ينظر لهذا الشباب بنفس النظرة التي كان كل من حوله ينظرون إليه بها.

ورد عليه الشاب بنظرة أمل حالمة وابتسامة واعدة.. إنها نفس الابتسامة التي كانت لا تفارقه.

ومضى كل منهما بابتسامته ونظرته.

وشتان بين النظرتين وبين الابتسامتين..

الشاب مضى بابتسامته الواعدة ونظرة الأمل الحالمة ومضى هو بابتسامته التي هي أقرب للتعبير عمَّا خبره من أمور الحياة والشعور بالمرارة منها

ونظرته المشفقة على هذا الشاب، التي طالما وجدها في عيون كل من حوله.
كان يود من كل قلبه أن يخبر هذا الشاب بالحقيقة.
لكنه قرر ألا يخبره بالحقيقة التي عرفها أخيرا، ربما لأنه يعلم أنه لو أخبره بالحقيقة سيتسبب بطريقة أو بأخرى بقتل حلم ذلك الشاب.
وعلى الرغم من علمه أن هذا الشاب يحيا في حلم زائف، لكنه كان يعرف عن يقين أن الحياة في حلم زائف أجمل ألف مرة من حياة بلا حلم، فالأحلام يا عزيزي هي ما تجعل للحياة مذاقا.. بل هي من تجعل الحياة حياة، وويل كل الويل لمن فقد القدرة على الحلم، سيكون حينئذٍ قد فقد القدرة على الحياة.
ووقتها، ووقتها فقط، عرف سر تلك النظرة التي كان يراها في عيون كل من حوله.
وفي النهاية عزيزي القارئ عذرا إن كنت قد وجدت نفسك تشبه هذا الرجل.
فأنا لا أقصد أن أتحدث عنك.
فأنا أتحدث عن رجل هزمته الحياة.

نجم تحت الصخرة

رجل بسيط الحال
لم يعرف من الأيام شيئا
غير صمت المتعبين

(فاروق جويدة)

عم راضي.. هو اسمه ولقبه وصفته وحاله وقناعاته..
من سكان منطقة الدويقة؛ حيث يقيم هو وأسرته المكونة من زوجتة وأولاده الأربعة ؛ ثلاث بنات وولد، وأمه المسنة.
يعمل باليومية بإحدى الورش الموجودة بالمنطقة التي يقطن بها، وكان مقدار ما يتقاضاه من راتب - شأنه شأن معظم من يعرفهم - يكفي سد الرمق لا أكثر.
ذهب عشرات المرات إلى الحي بناءً على نصيحة بعض المعارف ليحجز شقة من شقق المحافظة، وغالبا ما كان يسمع نفس الإجابة التي سمعها أول مرة عندما قام بالذهاب إلى الحي من ثمانية عشر عاما: «اكتب طلبا وسننظر

في أمره».
كتب عم راضي عشرات الطلبات لكن على أرجح تقدير لم ينظر في أي طلب منها.
ذهب عشرات المرات إلى التأمين الصحي ليوفر العلاج المجاني لإحدى بناته التي تعاني من مجموعة مشاكل صحية، لكن كان كل ما يتحصل عليه من التأمين الصحي لا يكفي ربع قيمة العلاج المطلوب.
كان أشد ما يتعجب له وهو يبتسم ابتسامة المستسلم لأمره ثم يحمد الله بصوت خافت كيف لا يزال يحيا هو وأسرته بعد كل هذه المشاكل المادية التي لا تنتهي أبدا ولا أمل في حلها في المستقبل..
كانت الحجرة التي تؤويه هو وأسرته قد اقترضت من الجبل جدارين من ضمن جدران الحجرة الأربعة ، لم يبخل عليه الجبل بالجدارين.. كان الجبل عادلا، فقد وافق على إقراضه الجدارين بشروط غير مكتوبة بينهما، ومن ضمن تلك الشروط أن تحتفظ هذه الجدران بقسوة الجبل وأن تظل مزينة بتضاريسه المصقولة قاسية الملامح..
من النظرة الأولى لا تعرف من يقطن من.. عم راضي هو من يقطن الجبل أم الجبل هو من يقطن عم راضي من فرط ما يشبه بعضهم البعض في المظهر الخارجي..
لم تكن مصادفة أبدا أن يؤوي هذا الجبل ذلك المسكين وليست مصادفة أيضا أن يختار عم راضي هذا الجبل ليأوي إليه.
لقد كانت التعاريج المنحوتة على الحائط الجبلي تشبه إلى حد كبير التعاريج التي ارتسمت على وجه عم راضي بفعل الزمن وكأن الذي رسمها هو نفس القلم وبنفس اليد، فكلاهما صقلته أوجاع وتقلبات الأيام.
كانت أكثر لحظات عم راضي سعادة هي يوم الجمعة بعد الصلاة.. فذاك يوم حافل له ولأسرته؛ حيث تكون زوجته قد أعدت طعاما مميزا خاصا بهذا اليوم؛ فيوم الجمعة هو يوم اللحوم عند أسرة عم راضي كما يحب أن

يطلق عليه.
نعم يوم اللحوم.. وتأتي بطريقتين لا ثالث لهما ، الأولى من أهل الخير الذين يأتون بسياراتهم الفاخرة ويوزعون أكياس اللحوم على سكان هذه المنطقة، أو تقوم زوجته بشراء كيلوجرامين من هياكل الطيور، وهي عبارة عن رقبة الدجاجة وأجنحتها وتتفنن زوجته في عمل «الفتة» بمرق تلك الهياكل لتسد جوع الأسرة.
وقد اعتاد عم راضي أن يجلس بعد تناول الغداء في هذا اليوم مع أولاده وهو يدخن السجائر الرخيصة ليتحدث معهم ويتحدثوا معه.
كان عم راضي دائما ما يجلس وحيدا مستندا بظهره إلى الحائط الجبلي ينظر إلى صورة قديمة محفوظة في برواز خشبي ومعلقة بواسطة مسمار على الحائط الجبلي الآخر وهو شارد الذهن ينفث دخان سجائره الرخيصة.. وكانت هذه الصورة هي كل ما يملك من ذكريات.. فقد اقتطعها من إحدى الجرائد القومية اليومية الشهيرة، حيث يظهر هو في طرف الصورة مرتديا الملابس العسكرية وهو على الجبهة في أثناء حرف الاستنزاف، حيث كان يزور وحدته العسكرية المشير أحمد إسماعيل - رحمه الله.
لا يزال عم راضي يتذكر هذا اليوم الفاصل في حياته حين أدى التحية العسكرية للمشير وما زال يتذكر كيف ربت المشير على كتفه وقال له بصوت أبوي حنون تتخلله نبرة ثقة: «شد حيلك.. هانت يا بطل».
لا يزال عم راضي يتذكر وقع تلك الكلمات عليه وكثيرا ما رددها بينه وبين نفسه كلما واجهته عثرة في حياته، وما أكثر عثرات عم راضي «شد حيلك.. هانت يا بطل».
وعلى الرغم من أن عم راضي يظهر في طرف الصورة فإنه دائما ما يشعر بأنه البطل الوحيد لتلك الصورة، وأن المشير كان يختصه دون سواه بهذه الزيارة..
فما أجمل تلك الذكريات!

وجاء الليل طويلا كما يأتي دائما على عم راضي..
نام الجميع ما عدا عم راضي، فالنوم لا يأتي لمن هم في مثل حاله، فهو لا يملك أكثر من عشرة جنيهات هي كل ما يملك ولا يعرف ماذا يفعل.. في تلك الليلة أطال عم راضي النظر إلى سقف حجرته.
كان كل شيء هادئا والكل نائم إلا عدة فئران كانت تتمشى في سقف الحجرة بمنتهى الحرية، فهي تألفه ويألفها، حتى إنها لم تلفت انتباهه لتعوّده على ذلك منها وتعودها على ذلك منه..
وفجأة ومن دون أي مقدمات سقطت صخرة كبيرة على الحجرة التي يسكن فيها عم راضي هو وأسرته..
كانت الصخرة بحجم الدنيا وبلون حياة هذا الرجل التعيس..
غاب عم راضي تحت الصخرة وتاه في ظلام دامس مكتظ بخليط من العجز والقسوة والوحشة..
استسلم عم راضي لما حدث وكأنه ينتظره ويتوقعه..
خاطب عم راضي الجبل وهو محاصَر به من كل اتجاه وكأن لسان حاله يقول:
يا جبل.. لقد ارتضيت أن أحتمي بك من الغادرين، لماذا كنت أنت أول الغادرين؟
يا جبل.. لقد ارتضيت أن أستعير منك جدارين ليحمياني من قسوة الناس لماذا كنت أول القاسين؟
وكأن الجبل يرد عليه:
لم أغدر بك.. لقد غُدر بنا معا.. فلم أستطع المقاومة فانهَرت عليك.
وكان عم راضي وهو على تلك الحالة تحت الصخرة يتمنى أن يأتي إليه من يربت على كتفه ويقول له: «شد حيلك.. هانت يا بطل».
بدأت تتنامى إلى أذني عم راضي أصوات الناس وجلبة الآلات وتصريحات المسئولين وهم يقفون فوقه مباشرة.. الذين طالما حلم بلقاء أحدهم في يوم

من الأيام ولو لمرة واحدة..
فكم من المرات ذهب إليهم عم راضي ليقابلهم فكان يُحرم من مجرد الدخول إلى المكان الموجودين به.. فكانت الحواجز هي ما تحول بينه وبينهم..
والآن قد جاءوا هم إليه.. لكن هذه المرة الصخرة هي ما تحول بينه وبينهم..
فما أسخف الحواجز!
وما أقسى الصخور!
شعر عم راضي وقد تسربت إليه أضواء فلاشات الكاميرات وهو قابع في سجنه تحت الصخرة أنها تأخرت كثيرا كثيرا عنه، وشعر الآن أنه يأخذ حقه الذي تأخر كثيرا كثيرا..
لأول مرة في حياته يشعر أنه مهم وذو قيمة..
لقد أصبح عم راضي نجما..
فلاشات كاميرا ومسئولون جاءوا خصيصا له..
لكن بكل أسف..
كان نجما تحت الصخرة.

صداقة في المنطقة صفر

«إذا أردت أن تفهم إنسانا فانظر فعله في لحظة اختيار حر، وحينئذ سوف تفاجَأ تماما، فقد ترى القديس يزني، وقد ترى العاهرة تصلي، وقد ترى الطبيب يشرب السم، وقد تفاجَأ بصديقك يطعنك وبعدوك ينقذك، وقد ترى الخادم سيدا في أفعاله والسيد أحقر من أحقر خادم في أعماله، وقد ترى ملوكا يرتشون وصعاليك يتصدقون».

(د. مصطفى محمود)

كانا صديقين، أو هكذا كانا يعتقدان، كان كل من يراهما يعتقد أنهما شخصا وكيانا واحدا من فرط ارتباط كل منهما بالآخر، فهما لا يفترقان أبدا.

وكما يحدث دائما بين الأصدقاء وقع خلاف بسيط، تطور هذا الخلاف إلى خلاف كبير وتطور فأصبح خلافا حادا، فقتل أحدهما الآخر..

لم يكن الأمر صعبا أو محيرا على رجال البوليس فتوصلوا إلى القاتل بسرعة وتم تقديمه إلى المحاكمة وحكم عليه بالإعدام..

وفي ليلته الأخيرة، حيث سينفذ فيه حكم الإعدام في الصباح، لم يسهر حتى الصباح مثل أقرانه المنتظرين تنفيذ حكم الإعدام، بل نام كما لم ينم من قبل، وهذا شيء لا يحدث عادة لمن هم في مثل موقفه.. وأثناء نومه رأى حُلما.. كان القادم إليه في الحلم شخصا يعرفه جيدا، إنه المقتول..

ودار بينهما حوار..

- يا قاتلي .. لماذا قتلتني ونحن صديقان؟

- نحن لم نكن أصدقاء، وأنت تعرف ذلك جيدا.

- ولكن كان الناس يظنون ذلك.

- دع الناس يظنون ما يظنون، فأنا وأنت نعلم علم اليقين أننا لم نكن في يوم من الأيام صديقين وإن بدا للناس غير ذلك فهذا لا يهمني.

قال المقتول في حيرة :

- لكن أتنكر أنه كانت بيننا أعمال ومصالح مشتركة متشابكة كثيرة.

تنهد القاتل ارتياحا:

- ها قد قُلتها، أعمال ومصالح، وهذا يعني أننا بحكم هذه المصالح والأعمال كنا نلتقى كثيرا ولا ترتبط علاقتنا إلا بالأعمال والمصالح، ولهذا كنا نتقابل كثيرا لترتيب أعمالنا وحساباتنا، فاعتقد الناس أننا صديقان.

- أرى أنك تحاول أن تتنصل وتنفي علاقة الصداقة بيننا، ولو كنت مكانك لفعلت مثلما تفعل، فقتل شريك بينك وبينه مصالح أخف وطأة وأقل عبئا على النفس من قتل صديق..

- عجبا لك، أما زلت تفلسف الأمور كعادتك لتبدو في النهاية أنك الأوفر حكمة والأرجح عقلا والأكثر دهاء؟

ما زلت أنت كما أنت لم تتغير.

- نعم أنا كما أنا لم أتغير حتي وأنا مقتول.

وأنا أفعل هذا ليس بغرض فلسفة الأمور كما تقول، لكن هذه طبيعتي.

- عموما أنت لا تعنيني الآن فكن كما تحب، فلم يعد يشغلني أمرك، وأنا لا أتنصل من الصداقة كما تقول، لكن في الحقيقة - وكلانا يعرف هذه الحقيقة - أننا لم نكن في يوم من الأيام صديقين.

- وأنا لا يشغلني الأمر كثيرا.. فحد السكين الذي غرسته في جسدي لا يفرق بين الصديق والشريك، كما كان الحال بالنسبة للناس، فلم يفرقوا بين الصداقة والشراكة.

لكن يا قاتلي دعني أسألك سؤالا واحدا ومحددا وعِدني أنك ستجيبني بكل صدق.. فقد انتهى الأمر وأصبحت أنت القاتل وأنا القتيل، ومهما كانت الإجابة فلن يتغير من الأمر شيء.. فالمقتول قد قُتل ولن يعود إلى الحياة والقاتل سيُقتل وسيُغادر الحياة.

- اسأل.

- يا قاتلي ... لماذا قتلتني؟

- أنت تعرف لماذا قتلتك.

- أنا لا أعرف شيئا.

- بل تعرف كل شيء.. وإن كنت قد قتلتك فقد سبق أن قتلتني أنت قبل أن أقتلك.

- لم يحدث أن قتلتك ولم أفكر يوما واحداً أن أقتلك.

- أنت كاذب.

- أنا لست بكاذب.

- بل أنت كاذب.. لقد سبق أن قتلتني أنت قبل أن أقتلك.. كنت

أنت القاتل وكنت أنا القتيل.

هل تعتقد أن حد السكين هو الوسيلة الوحيدة للقتل؟ هناك وسائل للقتل أشد فتكا من حد السكين، ويا للعجب، فتلك الوسائل حينما تُستخدم للقتل لا تسقط قطرة دماء واحدة، بل ربما تلك الوسائل تكون مغلفة بالكلمات الرقيقة، وفي أحيان كثيرة تكون تلك الوسائل مزينة بباقة من الورود ومهداة من القاتل.

- أنت تحاول فقط أن تدافع عن نفسك أمامي لما ارتكبته في حقي.
- أنا لا أدافع عن نفسي أمامك.. فهل تعتقد أنني بعدما قتلتك أخشى من أن تغضب مني؟ هذه أشبه بمزحة فجة .
- لم تجب على سؤالي.. لماذا قتلتني؟
- سأخبرك بالأمر، لكن دعني أسألك سؤالا.
- اسأل.
- كم من الزمن ظن الناس أننا صديقان؟
- أكثر من ثلاثين عاما.. ولا أتذكر أنه حدث في يوم ما من تلك الفترة خلاف بيننا.
- ما زلت تكذب ولا تقول الحقيقة التي أنا وأنت نعرفها جيدا.
- قلت لك مرارا أنا لا أكذب.
- عموما سأخبرك بما تريد فلا تقاطعني.
- حسنا إني أستمع إليك ولن أقاطعك.
- قلت من توك إننا يعرف بعضنا بعضا منذ أكثر من ثلاثين عاما.. أتذكر طيلة هذه السنوات منذ أن تعارفنا وتداخلت مصالحنا وازداد حجم الأعمال بيننا، مما جعل الناس يعتقدون أننا أصدقاء .

أتذكر طيلة هذه السنوات كنتَ دائما لك الكلمة العليا في كل شيء.. آراؤك دائما هي الصائبة.

أنت من تقول نعم وأنت من تقول لا..

وأنا أستجيب لك..
أنت من ترضى وأنت من ترفض..
وأنا أستجيب لك..
لقد كنت التابع لك على الدوام..
- لكنك لم تشعرني في أي يوم من الأيام أنك غير راضٍ عن هذا.
- لأنك ببساطة كنت دائما تتصرف التصرف الصائب.. وسأبوح لك بسر احتفظت به لنفسي طيلة هذه السنوات ولم أبُح به لأحد.. أو بمعنى أدق كنت لا أستطيع أن أبوح به لأحد.
- سر؟ ما هو؟
- لقد اعتدت أنا على ذلك.. اعتدت أن أنتظر قرارك لكي أنفذه من دون أدنى تفكير، واعتدت أن أنتظر رد فعلك أمام أي موقف ليكون لي نفس رد الفعل.. اعتدت أن تكون أنت كل شيء وأنا لا شيء، بل الأصح أن أقول إنني كنت مجرد تابع لك.
- صدقني لم أقصد ذلك.
- قصدت أم لم تكن تقصد.. هذا ما حدث.
تصور.. في بيتي وأمام زوجتي وأمام أولادي كنت أنت صاحب الكلمة الأولى..
أتذكر؟ لقد كنت أنت من اخترت لي زوجتي وأنت من كنت تختار لي أسماء أولادي.
أنت أصبحت كل شيء، كل شيء.. في عملي وفي بيتي، بل في حياتي كلها.
- ولكنك لم ترفض، بل لم تُشعرني في يوم من الأيام أنك غير راضٍ عن هذا.
- لأنك كنت دائما تقول الصواب وتختار الصواب وتنفذ الصواب.
- ها أنت تقول إني كنت على صواب، أي أنني كنت مفيدا لك.
- لقد جعلتني تابعا لك.

- كان بإمكانك أن ترفض.

- لقد كان الرفض رفاهية لا أمتلكها.

فمبادرتك دائماً وصواب رأيك جعلني أستسلم لك

فأصبحت أنت مع مرور الوقت كل شيء..

وأصبحت أنا لا شيء..

- لماذا ؟ أنا لم أجبرك على أي شيء.

- في أحيان كثيرة لا يكون الإجبار بالقوة فقط.. منتهى الإجبار ألا يكون أمامك خيار إلا أن تكون مُجبَرا، فيصبح الإجبار من دون أن نشعر اختيار..

حينها، وحينها فقط، تصبح المنطقة المتاحة بين الإجبار والاختيار هي المنطقة صفر.. وفي هذه الحالة يكون هذا الصفر لا يشير إلى أبعاد وحدود تلك المنطقة فقط، بل يشير إلى وضع وحجم وآمال وأحلام وطموحات من وضعته ظروفه التعسة داخل تلك المنطقة البائسة، وهو في هذه الحالة لا يكون أكثر من مسخ بشري مشوه لا أكثر .

- إذًا أنت تقر أنني لم أجبرك على شيء، لكن أنت الذي اخترت أن تكون مُجبَرا.

- لم تترك لي سوى هذا الاختيار، ولكن دعني أقُل لك شيئا.. لقد كان كلانا يستفيد من الآخر، كل بطريقته الخاصة.

ربما نكون قد توافقنا، نحن الاثنين، أن يكون أحدنا سيدا والآخر تابعا، وكنت أنت السيد وأنا التابع؛ فالسيد يرغب أن يكون له تابعا حتى يظل سيدا، والتابع يبحث له عن سيدا حتى يظل تابعا، ونحن فعلنا ذلك دون أن تنطق به ألسنتنا؛ فالأفعال أشد توثيقا من الكلام، فالسيد لا يكون سيدا بغير تابع، والتابع لا يكون تابعا بغير سيد.. فكلانا كان يعرف ما يريد، وإذا حصل أي منا على ما يريد فقد ربح، أياً ما كان ما يريده، وأياً ما كان الربح..

المقتول: ها هي الحقيقة قد جاءت على لسانك.. لقد كنت تريد ذلك وإن

لم تقله ولم أرغمك على شيء.

- الإرغام لا يحدث دائما بالتنكيل، لكن ما حدث أنك سطوت على إرادتي فلم أرفض.. ورويدا رويدا أصحبت مستسلما لك وأصبحت مسلوب الإرادة.

- ألهذا قتلتني؟

- نعم، لهذا قتلتك.

- كلانا قد أخطأ في حق الآخر وكلانا دفع الثمن.. أنت قتلتني وجعلتني أُغادر الحياة وأنت سُتقتل وستغادر الحياة.

في هذا الوقت كان حراس السجن يدخلون الزنزانة ليقتادوه إلى غرفة الإعدام لتنفيذ الحكم..

فسار معهم بكل هدوء وسكينة وهو يتمتم لنفسه بصوت لم يسمعه أحد:

- ما أفدح الثمن إذا أردت أن تسترد كيانك وتخرج من المنطقة صفر.

ولكنه مع ذلك لم يعرف بالضبط أكان هو القاتل أم كان المقتول.

صك التحول

أحنُّ إلى خبزِ أمّي وقهوة أمّي ولمسة أمّي
خذيني، إذا عدتُ يوما وشاحا لهُدبكِ
وشدّي وثاقي.. بخصلة شَعر.. بخيطٍ
يلوّحُ في ذيلِ ثوبكِ هرِمتُ
فرُدّي نجومَ الطفولة حتّى أُشاركَ
صغارَ العصافيرِ دربَ الرجوع.. لعشِّ انتظاركِ

(محمود درويش)

هو طفل مُدلل من أمه كمعظم الأطفال، ثم فجأة ومن دون أي مقدمات قست الأم على طفلها..

في بداية الأمر لم يستوعب الطفل ما حدث.. وقف الطفل أمام أمه يستعطفها بنظراته الزائغة التائهة عسى أن تتذكر أمه أنه كان في يوم من الأيام طفلها المدلل..

لكن هيهات.. فقد تحجر قلب الأم أمام تلك النظرات البائسة..

ففطن الطفل بغريزته الطفولية التي لا تكذب أبدا إلى أن هناك شيئا ما حدث وأن هناك أحاسيس ما تصخرت..

أخذ الطفل يبتعد عن عيني أمه شيئا فشيئا وهو دائم النظر إلى عينيها بنظرات الاستعطاف وأخذ يبتعد ويبتعد ويبتعد حتى غابت أمه تماما عنه..

وكان يقول لنفسه وهو يبتعد:

نظرة عطف واحدة منك يا أمي أفضل ألف مرة من أحضان نساء العالم.

ربما أدرك الطفل في تلك اللحظة أنه لم يعد ذلك الطفل المدلل، وأن نظرة قاسية من عين الأم هي بمثابة صك التحول من الطفولة إلى عوالم أخرى لا يعلمها.

(خاطرة) لغة الصمت

«قد يتغير كل شيء إذا نطق الصمت»

(نجيب محفوظ)

قد تذبل كل الكلمات
قد يتلاشى المعنى من هول الصدمات
قد تخشى الكلمة لو خرجت أن تُغتال
قد ترتعد الكلمة لو لمحت ما يسبقها من أقفال
أو تغرق في بحر تملؤه الأهوال
وقد تعبر حاجزا أو بعض حواجز
لكن ما تلبث أن تنفق من بعد الأميال
قد تحتاج الكلمة كي تفهم كل الكلمات
لكن تبقى لغة لا تحتاج إلى كلمات
هي تفهم كل الكلمات
إذا همست كانت نظرات
وإذا صخبت كانت أنَّات
لغة ينطقها الوجدان
يتنفسها القلب في ثوب آذان

هي لغة لا تبلى لا تكذب
لا تتلعثم في طرف لسان
هي لغة الحقد
لغة العشق
لغة الثورة والبركان
هي كالوشم لا تمحى في أي زمان
هي همس الموج القابع جنب الشطآن
دعوة مظلوم خلف الجدران
هي لغة تعبث بالأحرف
فتصير جدائل أشعار
هي صرخة مُثل عُليا
قد تاهت في زمن العار
هي لغة تبكي هي لغة تضحك هي لغة تعزف بالأوتار
هي لغة تتسلل من عين العاشق فتفضح مكنون الأسرار
هي لغة تلبس ثوب المكر ثوب الفتنة.. ثوبا تملؤه الأزهار
انظر أو لا تنظر.. اطنب أو لا تُطنب
سيصيبك منها سهم تكسوه الأخبار
هي لغة يحملها الطير يسترها الليل
تنقش أحرفها في وجه القمر
هي لغة تتهادى على خفقات القلب
في زمن الصمت
هي لغة الصمت

١٩٩٢/١/١٠

أسامة سمير حسن

كاتب وروائي مصري ، مهموم دائما بقضايا وطنه .

صدر للكاتب :

١- كتاب «ما بين الحكمة والجنون»، مقالات وخواطر.
٢- مشروع قانون عبارة عن «آلية لتنظيم عملية الشراء بالأمر المباشر للمصالح والمؤسسات الحكومية».

تحت الإعداد للنشر :

١- كتاب «رجل عديم القيمة»
٢- كتاب «ديني كما أفهمه»
٣- كتاب «الحصان أمام العربة»، وهو كتاب يقدم رؤية لإصلاح المؤسسات والمصالح الحكومية المصرية.
٤- كتاب «أيام في التحرير»

للتواصل مع الكاتب :
OSAMA_202527@YAHOO.COM